روايات
ALHAN
ألحان

أحلام الطفولة

١٢٢



ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	5$	CanadA
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	1.5	U.K
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	15F.F	France
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	1200Drs.	Greece
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	1.5 P.	CYPRUS

تحكي هذه الرواية قصة الشابة الجميلة "اليزون" التي تسافر إلى "سان رافاييل" بحثاً عن زوج أختها المريضة ، وتقيم في فندق "الفردوس" الذي يديره "ريلي" الشاب الوسيم الذي يحيي في قلبها وعقلها أحلام طفولتها ، ويساعدها في البحث عن زوج أختها ويفعل ما بوسعه لتحقيق أحلامه.

بين أحضان الطبيعة الساحرة في وسط الأدغال ، حيث لا شيء يعكر صفو ونقاء الحياة يعيشان قصة حب فريدة من نوعها ، ويدرك كل منهما انه لا يرغب شيئاً في العالم أكثر من رغبته في الآخر . لكن "اليزون" تعرف أن "ريلي" له علاقة بموضوع اختفاء زوج أختها فتتركه وترحل وقلبها يدمي لفراقه.

ما علاقة "ريلي" باختفاء "توني" ؟ وهل هذه هي نهاية علاقتهما معاً؟ وماذا حدث بينهما في الغابة ؟

كل هذه الأسئلة تجد إجابتها في سطور هذه الرواية الممتعة عزيزي القارئ.

شخصيات الرواية

"اليزون ريتشارد" او "آلي" : شابة جميلة تعمل نائبة مدير بنك ، وتكرس حياتها لسعادة أختها المريضة .

"ريلي اندرسون" : شاب وسيم يبلغ من العمر ٣٤ عاماً ويدير فندقاً متواضعاً في "سان رافاييل" .

"سوزان كروش" : أخت "اليزون" وزوجة "توني كروش" عالم النبات الناجح .

"شيكو" صبي إسباني صغير يرافق "ريلي" .

الأختان "بارتولينو" ، "السيد "جارفيلد" ، والمبجل "فيليب" ساكنو فندق "الفردوس" .

الغلاف الأمامي

كان هناك شيء يزعزعها في حالة "ريلي اندرسون" المحزنة وبينما كانت تحاول أن تفهم السبب ، تولدت في عقلها من جديد صورة منسية منذ وقت طويل . لم تستطع ان تتبينها جيداً .

تلك الصورة الهاربة كانت تلازمها وتشير عليها انها تتعلق بقصة قديمة . اجتهدت لتعرف الرسالة التي تحملها بقايا هذه الذكرى وعلاقتها باللحظة الحاضرة وبـ"ريلي" وهي متحيرة أكثر من أي وقت مضى .

الفصل الأول

– لقد سمعت من قبل عن عودة "حالة الطبيعة" ، لكن أليس هذا شيئاً مبالغاً فيه ؟

كانت اللهجة التي تكلمت بها هذه السيدة لهجة لائمة بوضوح .

رفع "ريلي اندرسون" – الذي كان ممدداً فوق أرجوحة نومه في الشرفة – قبعته ببطء ولاحظ أمامه ساقين في غاية الرشاقة تنتعلان حذاء خفيفاً . لابد أن هذا حلم . فالمرء لم يحظ برؤية مثل هاتين الساقين حتى في غابات أمريكا الوسطى . ولقد كان على علم بذلك . وتحقق منه .

قالت وهي متضايقة :

– إنك لم تفقد عقلك فقط ، إنما أيضاً قدرتك على الكلام . تحرك "ريلي" . كلا ، لم يكن هذا حلماً .

– من يبالي ؟

زفرت زفرات متقطعة .

– "توني" ؟ "توني" ، هل هذا أنت ؟

ارتفعت أطراف جيبها الكتاني الأبيض حتى فخذيها . عندما انحنت لتلقي نظرة خاطفة أسفل القبعة . عندما أمالت رأسها لترى وجهه بوضوح ، أسبلت عينيها بازدراء .

سمعها تقول برغم خرير محرك الطائرة المائية :

– إنك لست "توني" ! . إني ابحث عن "توني كروش" .

دقق "ريلي" بدوره في العينين الزرقاوين ، في عيني أجمل امرأة رآها خلال ثمانية اشهر .

انسدلت خصلات شعرها الأشقر من تسريحتها ، في حلزونات حتى قرطها ، مبرزة وجنتيها المتلألئتين المتوردتين . كانت ترتدي قميصاً حريرياً محكماً وقد دفع ميل نصفها الأعلى بالقرط الذي كانت تتحلى به حتى ذقنها .

وشفتاها ناعمتان جداً مثل ساقيها و.... أغلق عينيه مقطباً حاجبيه وهو يجتهد في الجلوس مرة أخرى .

إنها بلا شك جزء من أحلامه ، لكنها ليست لها أدنى علاقة بفندق "الفردوس" .

وبالرغم من ذلك ، كانت تبحث عن "توني كروش" .

خلال هذا الوقت ، أثار خرير موتور الطائرة المائية – الذي كان مزعجا – كل الضوضاء . بذلت أقصى ما في استطاعتها كي تطرح عليه سؤالاً وعندما تمكن من سماعها رفعت صوتها :

– هل يمكن أن تخبرني اين أجده ؟

خلع "ريلي" قبعته واعتدل في جلسته . لم يتبق أمامه سوى شهر واحد ، ولم يكن لينقصه غير هذا : مجهولة ، تحاول العثور على "توني" ، تأتي لتتدخل في شؤونه .

– ما الذي جعلك تعتقدين انك ستجدينه هنا ؟

جعلتها نبرة صوته الهادئة المتروية تترنح . اعتدلت وأمسكت بطرف حمالة حقيبة يدها التي كانت معلقة على كتفها .

سيطرت على اضطرابها ، ودون أن تجيبه تجولت بنظراتها على

جذعه ثم تلاشت ابتسامتها وفتحت شفتاها كي تسمح بمرور زفرة.

خفض "ريلي" عينيه ليتأكد من أن فتحة بنطلونه مغلقة جيداً فوجد كل شيء طبيعياً . دقق النظر من جديد وأدرك أن ملابسه هي التي حيرتها . قميصه الهوليودي المبلل الذي تفتت النسيج من كميه والذي كان بدون أزرار بدا وكأنه عاصر معه أياماً جميلة .

– لقد سألتك : ما الذي يجعلك تعتقدين أن "توني" كروش" هنا ؟

بدأت كلامها :

– أنا ، أوه ...

غضت نظرها ثم حولته ناحية المجرى المائي وقالت :

– ذلك الولد الذي يعمل على رصيف الشحن . أتراه ؟ إنه هناك دائماً . عندما سألته عن "توني" ، أشار لي إلى هذه الشرفة . وحسبتك إياه .

إنها تنظر في عينيه مباشرة هذه المرة .

– لكن هذا لا يمكن أن يكون هو .

اعترف بجفاف وهو يدير رأسه ناحية الماء :

– بالتأكيد .

كان هناك صبي في حوالي الثانية عشرة من عمره حافي القدمين ، يرتدي "شورت" ، يجتهد في نقل ثلاث حقائب على طول الجسر الخشبي الذي يوصل إلى الفندق ، وصل إلى السلم وهو يترنح . بابتسامته المشرقة . ألقى "ريلي" إليه غمزة عن قبل أن يوجه انتباهه إلى السيدة مرة أخرى .

أهدت له هي الأخرى ابتسامة عذبة لكنها تلاشت عندما سقطت من الصبي إحدى الحقائب .

أمسكت بذراعيه محاولة أن تحفظ توازنه ، بلا جدوى :

– أرجو أن تكون أكثر انتباهاً ....

كانت تقفز في كل مرة لأن الحقائب كانت تصطدم بالدرجات .

– هاً ...

صاحت في "ريلي" :

– ألا يمكنك مساعدته ؟ إنه صغير .

نعم . لقد كان صغيراً لكن "ريلي" رآه مرات عديدة يحمل لفافات تزن أكثر من خمسة عشر كيلوجراما فوق رأسه . ومع ذلك مازالت قلقة . تباطأت نظراته من جديد فوق ساقيها :

– "شيكو" .

– نعم ، يا "ريلي" ؟

– لا تحملها جميعاً مرة واحدة .

– حسناً يا "ريلي" .

أبعد الولد ذراعيه وأسقط كل الحقائب . فانفتحت إحداها فجأة ، وتبعثرت كل محتوياتها على الدرجات .

– ملابسي !

أسرعت لتجمع متعلقاتها .

قطب "ريلي" حاجبيه بينما اقترب الولد من الأرجوحة :

– يجب أن نعيد النظر في تأهيلك كساع يا "شيكو" .

تجهم "شيكو" بشدة ، ثم تمتم وهو يريه أصابعه :

– إنها ثلاث حقائب يا "ريلي" . علينا أن ننشغل بهذه السيدة يا "ريلي" . وبهذا الشكل لن ترحل بسرعة مثل الأخريات . وستنفق الكثير من النقود . أليس كذلك ؟

أبعد "ريلي" عينيه عن تاييرها الأبيض وقطب حاجبيه وهو يفكر ملياً في التعقيدات التي أحدثها وجودها .

على الأقل سيؤثر هذا على مجالين في حياته : عمله وشهوانيته.

– إنها لن تبقى وقتا طويلا . وأنت أيضاً إذا لم تذهب لتغير ملاءات الغرفة رقم اثنين . بسرعة .

عندما دلف الغلام إلى الداخل ، خرج "ريلي" من أرجوحته واجتاز الشرفة . لم ترفع الشقراء رأسها .

كانت تدس في حقيبتها عشرات من قمصان النوم الحريرية المزينة بالورود وعشرات من المايوهات والملابس الداخلية التي كانت تكفي

لتغذية احلامها الليلية عشر سنوات . تنهد .
أسرعت في جمع الملابس لانها لاحظته وقد شغف بالمنظر .
قال وهو يهبط الدرجات :
- لم أعرف اسمك .
ظل يتأمل هذا العرض ثم امسك برداء وردي من الدانتيل مثير جداً . مع الأمطار الموسمية ، لابد أن هذا النسيج الرقيق سيذوب.
قالت وهي تنتزعه من يده :
- من فضلك ، لا تلمسه .
استمرت في تجميع أشيائها . وتساءل : "كم عدد تلك الأشياء الصغيرة الفاضحة التي جلبتها معها" ؟
ولأنها قرأت هذا السؤال في عينيه ، رفعت رأسها ، ركزت نظرها على جذعه العاري لحظة ، ثم صعدت إلى وجهه وانحرفت فجاة إلى جهة اليمين . قطبت حاجبيها ولم يكن هو بحاجة أن يلتفت ليعرف أن تلك التي لاحظتها ، هي لافتة الفندق .
- لقد أثرت فيك ، أليس كذلك ؟
أومأت :
- لم أر شيئاً مماثلاً لهذا من قبل .
هز "ريلي" رأسه ، اجتذب ذيل حصانه ، ثم غمغم وهو سعيد . لم يكن فندق "الفردوس" هو ذلك الفندق الذي كان يحلم به عندما كان يدرس في مدرسة "وارتون" . كان مرتبطا بهذا المكان رغماً عنه .
قال لنفسه موبخاً بسخرية :
إنه في الرأس . ما الأهمية ؟ إذا كان هذا المبنى التالف ليس به أي سحر . فإنه على الأقل يعتبره مخبأ . وكانت الغابات الاستوائية تزوده بستارة خلفية غريبة .
وفجأة استدار ناحية السيدة . ومن طريقتها في تحريك عينيها ، أدرك أنها لن تمكث طويلاً في هذه الأنحاء . من الواضح أنها لم تكن لتشاركه ضعفه تجاه المكان . أخرجت بطاقة زيارة من حقيبة يدها

ووضعتها في يده .
- اسمي "اليزون ريتشارد" .
دون أن ينظر إليها ، وهو يضع سيجاراً في فمه ، دس البطاقة في جيب قميصه الممزق .
ثم حدج كلاهما النظر في الآخر .
لن يستمر هذا طويلاً ، في تلك العينين الزرقاوين كان هناك منافس له يناظره . ولقد أحزنه هذا . خاصة الحزم الذي عكسته نظرتها العذبة ، الكبرياء في شموخها ، والفم الذي لن يكف عن إدهاشه - إذا سمح له هو بذلك - لكن هذا لن يحدث إلا في الحلم.
استمرت تلك النظرة في تفحصه بعناد امرأة تريد أن تهاجم بنيته التي كانت في حوالي المتر والربع .
كان عليه هو الآن أن يحول عينيه عنها ، ماذا جرى له ؟ هل هي لفحة حر ؟ لقد كان تائهاً تماماً . كان قد اعتقد أنه في صالة اجتماعات بعيداً عن هذا الجسر الخشبي المسوس . يرتدي بذلة ورابطة عنق بدلاً من الشورت الكاكي ونصف القميص هذا . وهو يجذب سيجارة ، تذكر أنه ، خلال الثمانية الشهور الأخيرة ، كان يعاني استياء كل من أتوا إلى فندق "الفردوس" .
لماذا يتأثر بهذا الشكل . هذه المرة ؟ طيبة . لقد كان مأخوذاً تماماً وهو ينظر - بسوء - مصادفة ، إلى حذائها الخفيف . والآن ليس عليه إلا أن يرفع رأسه . تخطى ردفي وصدر القامة الرشيقة ، النموذج المجسم الساحر . دون أن يحصل على إجابة . في الحقيقة كان يشك في السؤال نفسه .
- سيد "أندرسون" . لقد قمت بالحجز ....
دقق النظر في ملامح وجهها :
- نحن لا نتلقى حجوزات .
- في الحقيقة ، إني أتوجس خيفة من البقاء هنا . لكن بما أن الطائرة قد رحلت بالفعل ، فإن عليَّ أن أقضي الليلة هنا .

قال وهو يفتش في الأرض في حالة ما إذا كان هناك شيء من متعلقاتها مختفياً :

– اعتقد ان بإمكاني إنزالك في الفندق .

كانت رغبته فيها – هذه اللحظة – مفهومة ، ولا يهم من الرجل الذي ترغبه هي . برغم شعرها الأشعث وقطرات العرق التي كانت تغطي جبهتها ؛ كانت في قمة نضارتها مثل حبة نعناع . استطاع ان يفهم انها حريصة على مقابلة "توني كروش" ، كلمة واحدة أخرى عن هذا الموضوع وسيخاطران بان ينتهي بهما المطاف إلى السقوط في النهر . لكن ما لم يستطع فهمه هو سبب تلك الرعشة اللذيذة التي كانت تنتابه. جذب السيجار من فمه وتفوه ببعض السباب . لقد قضى ثمانية اشهر في سكون ، والآن عندما لم يتبق امامه سوى شهر واحد، تظهر هكذا دون أن تنذر بخطر قدومها .

الأمر يتعلق بمشكلة مع "الفردوس" : يجب أن يتركها . وعلى وجه السرعة . امسك برشاشة كانت قد نسيتها ورش بها عدة مرات .

– إن الناموس يعشق هذا .

– شكراً .

اخذت الرشاشة من يده ، ثم وضعتها مع المتعلقات الأخرى واغلقت الحقيبة .

– لقد كنا نتكلم عن "توني كروش" يا سيد "أندرسون" . لابد ان اقابله.

بدأ قرد امريكي في الصياح من داخل الغابة . لقد تلطفت ملامح "اليزون ريتشارد" عندما تاملت الأدغال من حولها . ولم تفت "ريلي" الفرصة في مشاهدة عينيها وهما تبرقان بالحماس . بحكم العادة ، عندما يسمع الناس صيحات القردة لأول مرة فإنهم ينتفضون من تعبير وجوهها ، يمكن ان نقول : إنها كانت تتوقع أن تبدأ جميعاً في كورس صياح جماعي .

وهو مرتبك من ملاحظة انها سعيدة وانها تصرفت بهذه الطريقة،

حك "ريلي" جبهته وعزم على أن يحكم عليها من جديد . وفي هذه المرة اقسم انه سيحكم عليها بطريقة اكثر دقة وتحليلية .

– ما الذي جعلك تعتقدين أن "توني كروش" هنا ؟

تفرست فيه من جديد ، واتخذت لهجة رسمية :

– خطابه ، عنوان المرسل كان فندق "الفردوس" . تحت رعاية شركة "سيلفا فيرد" . انا اعرف انه اتى إلى هنا .

– نعم ، لكنه رحل .

– سيد "اندرسون" .

– "ريلي" .

اهدت له ابتسامة هزيلة ، ربما مثل تلك التي توجهها إلى الساعي او مطبب قدميها .

– إلى اين ذهب ، وكيف اذهب إليه ؟

عقدت "اليزون" يديها خلف ظهرها وتاملت وضع جسده فترة طويلة بينما سقطت نظرة "ريلي أندرسون" عليها من جديد . إنه سيد شريطة ألا يضغط بيده على جذعه . وإذا كان يفعل ذلك عن عمد أو لا ، فإنها كانت تستدير في كل مرة . وفي لحظة ما تملكتها الحاجة لأن تشعر باصابعها فوق شعيرات صدره ، رغبت ايضاً في أن تتحسس عضلاته وتداعب خديه وذقنه الحليق . وبما أنها كانت تحدق في وجهه ، لم تطلب إلا أن تدفع بشفتيها إلى فمه . في قبلة جريئة وحارة كانت ستتركه لاهثاً .

سالها :

– هل أنت بخير ؟

اكدت له ، بينما كان قلبها يقفز داخل صدرها :

– بخير تماماً .

لكن الأمور كلها لم تكن على ما يرام ، فقد كان هناك شيء في حالة "ريلي أندرسون" المحزنة قد زعزعها .

وبينما كانت تحاول أن تفهم السبب في ذلك ، تولدت في عقلها – من

جديد – صورة منسية منذ وقت طويل . لم تستطع أن تتبينها جيداً . تلك الصورة الهاربة منذ زمن كانت تلازمها وتشير لها انها تتعلق بقصة قديمة .

اجتهدت لتعرف الرسالة التي تحملها بقايا هذه الذكرى وعلاقتها باللحظة الحاضرة وبـ "ريلي اندرسون" ، وهي متحيرة اكثر من اي وقت مضى . بدأت الصورة تتحرك ، لكن وجود "ريلي" الذي لا يقاوم كان يتصدى لها باستمرار . واستمر الصراع الضاري لحظات قاتلة . وضعت يديها على خديها واستدارت ناحية الأدغال.

تدخل "ريلي" وشرح لها :

– إنه الدفء . اتبعيني .

حمل الحقائب واتجه ناحية الشرفة .

كبتت ذكرياتها وأسرعت خلفه . لقد كان محقاً ، إنه الدفء حقاً . كانت ستتقدم لتمسك بالباب لكنها ابتعدت عندما رأته يدفعه بقدمه ويدخل . تمالكت نفسها عندما وضع الحقائب في زاوية الصالة . إنها لم تنج من الغرق في طائرة مائية ذات محرك واحد كي يعوق بحثها شخص يدعى "ريلي اندرسون" . كان يعرف شيئاً ما عن "توني" وإنها لن تضيع فرصة العثور عليه .

تبعته وهو يتخطى الأبواب الصفاقة حتى وصلا إلى مشرب ومطعم "الفردوس" . على الأقل هذا ما أوضحه المصباح النيون عندما اضيء . فقد كان المكان يشبه – غالباً – مخزن البضائع . حتى المروحة التي كانت تتارجح ، كانت تهز السقف مثل أسطوانة مشروخة .

سألها وهو ينزل أسفل المشرب ليخرج من الجهة الأخرى :

– ماذا تشربين ؟

– عصير ليمون من فضلك .

تفحصها بنظرة متشككة بينما ذهبت لتجلس على مقعد صغير ووضعت ساقاً فوق الأخرى .

– الديك شاي مثلج إذن ؟

– كلا ، لا يوجد إلا مياه معدنية او عصير .

اطفا سيجاره ثم اشار لها إلى معرض صغير لماركات شراب جيدة .

– انا لا اقدم شرابي قبل غروب الشمس .

شرابه . بعد غروب الشمس . لقد تاثرت قليلاً داخلياً وخارجياً .

لفت الحمالة حول حقيبة يدها ووضعتها على المنضدة وقد سدت العاطفة حلقها . من المؤكد انه يجتذبها جسدياً ، لكنها يجب أن تجد تفسيراً افضل لسحره هذا الذي لا يقاوم . وهي تتلوى فوق المقعد ، تذكرت انها كانت تتحاشى دائماً ذلك النوع المضايق من الرجال . إنها اكتفت بالمكانة – كلا ، لم يكن هذا حقيقياً – لقد كانت تفضل دائماً النوع المثقف . النوع المسؤول . اي المتحضر ، الذي يرتدي احذية ويكون لديه أزرار في قميصه ولا يكون له ابداً ، ابداً ذيل حصان .

اخرج زجاجة شراب من الثلاجة :

– هذا كل ما استطيع ان اقدمه لك .

قدمها لها كي تتفحصها كما لو كانت من الشراب الجيد .

– إنها طازجة ولا خوف منها .

كانت ترغب في أن تقول له : "اغرني كما تشاء ، فإنك لن تتغلب علي . بوصفي نائبة رئيس بنك لرهن العقارات فقد استفزني قبلك من هم افضل منك بكثير . وعلى اية حال انا لا اتقبلك ! حقاً ، لقد كان تصرفه صبيانياً ، لكن "تباً" ، كما كانت تود لو صاحت فيه .

قال وهو يربت بيده الزجاجة :

– اترين ؟ توجد أيضا بها فقاعات .

لقد ابصرتها . ومثل السنوريات الأسطورية التي تكتشف وجودها في الوثائق القديمة ، كان يتباطا في وكره في حر الظهيرة ، عذب نعم ، لكنه عذوبته كانت مزيفة ، كانت تعرف ، انه حينما تحين لحظة التصرف ، سيظهر فجاة مثل سهم القوس . مباشرا وخطرا . وضعت يدها على جبهتها واستنشقت دفعة كبيرة من الهواء . لقد كانت ترغب في عدم تعقيد الأمور فـ "ريلي اندرسون" ربما يكون هو الخيط الوحيد

الذي سيوصلها بـ"توني" ، ولكن يمكنها المخاطرة بقطع هذا الخيط إذا وبخته .

قالت وهي تلتزم بلهجة حياد :

- نعم ، أرى .

بدأ التوتر الذي بينهما يتزايد .

إنه لم يلمسها غير أن عينيه الخضراوين الواسعتين كانتا مركزتين عليها ومع ذلك فقد اهتزت من أعماقها بشدة ، عضت على شفتها لقد كانت مجبرة على عدم الاعتراف بهذا لكنه قد وصل إلى هدفه بالفعل وها هي تتفرس فيه من جديد وتبتسم قبل أن تتكلم .

قالت :

- ما الذي يمكن أن تتمناه أكثر من سيدة شابة .

عندما أمسكت بالإناء الزجاجي ، تلامست أصابعهما ، خفضت عينيها ناحية اليدين العريضتين القويتين المسكتين بالزجاجة . رأت بعض آثار الجروح الدقيقة وبعض التشوهات لكنها لم تتمكن من إخفاء الحساسية التي كانت تسري بيديه .

قال وهو ينظر في عينيها :

- إنك تقولين هذا لي ؟ !

- أوه نعم ، يمكنني أيضاً أن أطلب منك كأساً نظيفة لكني أعتقد أنه لن يضايقك أن أشرب من الزجاجة .

استند إلى لوحا كان خلفه وعقد ذراعيه :

- اشربي حتى الثمالة .

نزعت السدادة الفلينية ، ورفعت الزجاجة إلى شفتيها وشربت . لم تكن لتصدق أبداً أنها عطشى لهذه الدرجة . عندما انتهت من الشرب ، أدركت أنه لم يتوقف عن النظر إليها .

كان جو الحجرة ثقيلاً ، بطيء الحركة . مسحت شفتيها وغض بصره .

قال وهو يرفع ذقنه في حركة تحدٍ كي يحثها على أن ترفع الزجاجة

إلى شفتيها مرة أخرى :

- استمري ، مازال المنبع مملوءا .

كانت تعرف أنه يضللها وأن الطريقة الوحيدة للتغلب عليه هي أن تنهي الزجاجة . فهمت أيضاً أنها إذا أطبقت شفتيها من جديد على فوهة الزجاجة ، فستكون شريكته - برضاها - في هذه اللعبة الماجنة . لعبة يريدها أن تلعبها من أجله . تملكتها رغبة في أن تحطم الزجاجة بضربها في الحائط لكن في نفس اللحظة ، أحست بشيء قد تولد بينهما ، شيء قوي وحاد ، أكثر إثارة مما أحسته من قبل في اتصالها بعشاقها - رغما عنه كان عليه أن يعترف أنه يحس به داخله . رفعت الزجاجة فراته يكتئب ، ابتعد عن اللوح وانتزعها من يدها قبل أن تصل إلى شفتيها .

قال لها برفق في زفرات متقطعة ، لأنه لم يستطع أن يتمالك نفسه :

- على رسلك .

بدت مذهولة . وهو أيضا ، فقد كان يشعر بالرغبة فيها والانجذاب إليها . هذا الإدراك كان يغزو كل جسده كدفء يشع من حوله . لكن لابد أنه كان على مقربة منها . لأنه كان يقف على بعد بضعة سنتيمترات منها .

همست :

- لماذا ؟ إن مذاقه جيد .

مال ناحيتها . فارتعشت جفونها قبل أن تنغلق . وعندما فتحت عينيها ثانية بعد ذلك ، كان قد ابتعد من جديد .

- لأني لا أريدك أن تتقيئي في كل مكان .

لقد طرحها هذا التفسير أرضاً . وفعل بـ "ريلي أندرسون" نفس الشيء . فلقد ظل ملتصقاً باللوح وأخرج من جيبه بطاقة الزيارة التي كانت قد أعطته إياها .

- قولي لي إذن يا آنسة "ريتشارد" يا نائبة رئيس أحد بنوك رهن العقارات ، لماذا تبحثين عن "توني كروش" ؟ ألم يسدد لكم قرضاً ؟

- هل تعرف اين هو ؟

- ربما نعم ، وربما لا .

نزلت من فوق كرسيها وحملت حقيبة يدها ، دون ان تتوقف عن النظر إليه .

- متاسفة لاني اقلقتك وقت قيلولتك . بالتاكيد سيكون هناك شخص يمكنه الإجابة على اسئلتي ، إذا كنت انت لا تستطيع .

- ستتعبين نفسك بلا فائدة يا آنسة "ريتشارد" .

صاحت فيه :

- ليس اكثر مما تعبت معك . كيف يمكنني الحصول على غرفة هنا؟

خرج من وراء المشرب وقادها إلى الصالة .

قال وهو يجمع الحقائب :

- وقعي في السجل واتبعيني .

راها وهي تفتش في الصفحات وتوقفت قليلاً عند اسماء النزلاء الاخيرة . وعندما بدات في التوقيع وازن حمل الحقائب واستدار ناحية الباب .

- ليست مشكلة ان املأ مكان البيانات . إن معي بطاقتك وهذه تكفيني .

استدارت وتبعته وهي تهز كتفيها استخفافاً .

تفحصت كتفيه العريضتين وعضلات ذراعيه القوية . ثم قفزت في راسها افكار جريئة ولم تستطع ان تتمالك نفسها فانفجرت في الضحك .

سالها وهو يحول اتجاهه ناحية الشرفة :

- هل هناك شيء مضحك ؟

- كلا .

توقف امام الباب الثاني واشار لها بذقنه ان تفتحه ، ثم تبعها للداخل ووضع الحقائب على الأرض .

- فلتعلمي ان الناس ياتون هنا لجميع الأسباب . ربما اراد "توني"

ان يهرب من شيء . ربما اتى هنا لينسى شخصاً ما .

- خسارة ، لاني مهما يكن ، مصرة على ان اجده .

اهدت له اجمل الابتسامات ووضعت حقيبة يدها فوق الكومودينو.

قال وهو يهز راسه :

- انت تعرفين البقية .

- انا أعرف "توني" واعرف انه سيسعد كثيراً لما ساخبره به .

أحس "ريلي" بخيط رفيع من الماء يجري في ظهره .

- اتركي له رسالة معي . وساعطيه إياها ... إذا عاود المرور من هنا.

هزت راسها رافضة :

- كلا ، لا افكر في هذا .

اغلق الباب بقدمه . وتقدم خطوة خافضاً صوته :

- ساتكتم الامر .

- اشك في هذا .

- هيا ، ما الامر يا "اليزون" ؟ ما الذي دفعك إلى المجيء إلى "سان افاييل" ؟

مال ناحيتها لكنها لم تغلق عينيها هذه المرة .

- ما السر الكبير ؟ هل ارتكب مخالفة ؟

هزت راسها نفياً .

- كلا يا "ريلي" . إنه سيصبح اباً .

- ماذا ؟!

لم يكن "ريلي اندرسون" سيذهل بهذا الشكل إذا كانت قد ضربته في معدته . هل من الممكن ان يكون تعبيره الابله هذا نابعا من خيبة امل ؟ بعيداً عما كان يحدث خلف عينيه شديدتي الخضرة ، كانت تقول لنفسها : إنها لم تحصل منه على شيء . فـ"ريلي" لم يجب على السؤال الذي كانت في حاجة إلى معرفة إجابته . ربما يحثه هذا الخبر على الكلام .

- لقد قلت لك تواً : إن "توني كروش" سيصبح اباً .

فتح فمه واغلقه عدة مرات قبل ان يتكلم :

- كيف ؟ اعني منذ متى علمتم بامر الطفل ؟

- إنه في شهره الرابع تقريباً .

كرر وهو يدقق النظر في الحزام الجميل الذي كان فوق وسطها:

- شهره الرابع ؟ لكن لا يبدو عليك انك حامل ؟

- ماذا ؟ يا لك من ابله ! ليس انا ، إنها اختي "سوزان" . إن "توني" هو زوج اختي .

مر من حالة الذهول إلى حالة الارتياح ثم إلى عدم القدرة على التصديق :

- لكن "توني" لم يحدثني ابداً عن ذلك .

قالت وهي تنظر للديكور :

- بالتاكيد لا .

كانت الملاءات نظيفة ، لبس الوسادات موضوع فوق السرير ، مصباح فوق المنضدة ، وليس هناك اي حشرة صغيرة تجري على الأرض . جلى صوته :

- وكيف حال "سوزان" ؟ على ما يرام ؟

يا له من تغير فريد في الحالة ! "ريلي اندرسون" يتساءل عن حال اختها . بدات في الرد عليه وهي ملتزمة بالتحفظ .

- إنها في تحسن مستمر وقد قال عنها الطبيب : إنها نموذج للصحة الجيدة .

نظرت في ساعتها وترددت في الاستمرار . لقد حثتها غريزتها للعودة إلى طبيعتها الحذرة .

- إن "سوزان" و"توني" متحابان بشدة . هناك فقط سوء تفاهم بينهما اربك كل شيء .

جعدت انفها :

- هل تعرف ما هو ؟

جعد انفه هو ايضاً .

- كلا ، لا اعرف شيئاً عن هذا الأمر .

كل تلك الأحاسيس الحنونة والحلوة التي كانت تتعالى في صدرها قد اختفت عندما قلدها بتسامح متعجرف ولانها قد اربكت واخذت على حين غرة . تمتمت :

- اوه ، إيه ، حسناً ، ولا انا ايضاً ، لقد سمعت عن الأمر وحسب. ليذهب إلى الجحيم . الشيء المؤكد انه سيعرف أن زوجته حامل .

رأته يغطي وجهه بيديه ويتنهد معبراً عن كبت شديد :

- ارجعي إلى منزلك .

- ابداً .

نظر إليها نظرة من الصعب أن تفهمها بينما كان المطر يتساقط على السقف المعدني .

أعلن لها :

- المشهيات الساعة السادسة ، أما العشاء ... فوقتما تشائين .

ثم أمسك بمعصمها وأدناه من فمه . اعتقد لحظة انه سيقبل ظهر يدها . لكنه ببساطة ، القى نظرة سريعة على ساعتها ، وهو يمس سوارها الذهبي الرقيق ثم أمسك بالمينا الصدفية بين أصابعه . غالباً، لم تكن "اليزون" لتنظر إلى ساعتها . فلقد جذبت اليد الكبيرة التي تمسك بمعصمها ، كل انتباهها . كانت بشرة يده البرنزية بها حزة وبعض الخدوش الحديثة . يا لها من يد رجل قوية ! إنها لم تشعر من قبل انها ضعيفة بهذا الشكل ، وبينما كان قلبها يدق بشدة - حتى إنها خالت أن صوت دقاته قد ارتفع فوق صوت هطول الأمطار - بدات تلك الصور المبهمة ، التي كانت تداعب خيالها ، في الظهور مرة اخرى. لقد كان هذا يشبه لحناً قديماً اجتاز فكرها فترة وجيزة والذي حاولت أن تترجمه إلى كلمات لكنها لم تستطع .

قال لها :

- إنها الثانية .

ثم ترك معصمها واتجه ناحية الباب :

- يمكنك أن تستخدمي حمامي . فقط ، أغلقي الباب ولا تنسي أن تنزعي الرتاج عندما تنتهين .

- لحظة لو سمحت . هل قلت أن بإمكاني أن أستخدم حمامك ؟

كان واضعاً يده من قبل فوق الباب . استدار إليها ووضعها فوق ردفه . من نبرة صوته ، نستطيع أن نقول : إنه يدعوها لارتكاب جريمة معه .

- نعم . إني لا أسمح لأحد أن يشاركني حمامي مهما يكن . إذا كنت تعتقدين أنك لن تستطيعي تحمل هذا فقولي الآن .

- أليس بهذه الغرفة حمام ؟ أعني ، أنني لم أنزل أبداً في فندق لم تكن بحجراته حمامات مستقلة .

تابعت وقد تملكها الضيق ولم تحاول إخفاءه :

- لن أشارك في الحمام مع رجل ... غريب .

عض "ريلي" جانب خده الداخلي كي لا يبتسم .

- باستثناء الإقامة العامة بالقرب من المشرب ، فإنه لا يوجد إلا حمام آخر واحد يعمل . إنه على الجانب الآخر من الفندق . فإذا كنت تجدينني غريباً إلى هذا الحد ، يمكنك أن تشتركي مع "فيليب" المحترم ، والأختين "بارتولينو" والسيد "جارفيلد" عندما يكون موجوداً .

سألته وهي تضع يدها على خدها :

- من ؟

هزت رأسها وقد بدا عليها الإرهاق :

- لا عليك . لا أريد أن أعرفه ، وآسفة لأني طرحت هذا السؤال.

رآها وهي ترتمي فوق السرير ، وقد أنهكتها متاعبها ومشقة الرحلة.

- استريحي وخلال هذا الوقت سأبحث لك عن ناموسية لحجرتك؛

ثم خرج وأغلق الباب خلفه .

الفصل الثاني

بينما كان يزين كأسين من الكوكتيل للأختين "بارتولينو" بمظلات ورقية سمع خطوات "اليزون" تقترب . لم يكن وحده لكن كان هناك ستة رؤوس استدارت ناحية الباب الذي اجتازته . بعد مرور بضع ثوان . بمجرد أن دخلت الحجرة تسمرت في مكانها ، ونظرت كما لو كانت تبصر لأول مرة .

ثم تقدمت ناحية "ريلي" الواقف خلف المشرب وهي تتظاهر بعدم ملاحظة الابتسامات الموجهة إليها ، لكنها لاحظت أن قميص "ريلي" الشفاف قد اختفى تحت "سالوبيت" أزرق .

سألها "ريلي" :

- ماذا تريدين؟

مد يده بكأسي الكوكتيل إلى "شيكو" وأشار له إلى الأختين .

تمتمت :

- أن تنزع من حمامك تلك الفطريات . تلك الأشياء السمراء الغريبة التي تهبط من الجانب ، ومنشفة ، إذا كان هذا لن يضايقك.

سالها وهو يسكب كمية كبيرة من الشراب في كاس زجاجية :
– مم ؟ اي جانب ؟
رفع راسه فوجد خديها قد احمرا .
دققت النظر في الزجاجة التي كان يمسكها :
– انا ... اتذكر انك قلت : إنك لن تقدم لي شراباً قبل الغروب .
– لقد كانت مزحة .
استدارت ولاحظت أن الجميع كانوا يراقبونها .
همهمت :
– م ... مساء الخير .
خرج "ريلي" من وراء المشرب واتى ليقف بجوارها . مرر ذراعه حول كتفيها .
– "اليزون ريتشارد" ، اقدم لك مواطنينا : الأختين "بارتولينو" ، "باميلا" و"مارلين" من "نبراسكا" . لقد اتتا لقضاء بضعة اسابيع في صيد الفراشات . "فيليب" المحترم . إنه يؤلف كتاباً عن الطهو ويعمل طباخاً لدينا ايضاً ونحن بدورنا ندفع له راتباً جيداً . والسيد "جارفيلد" . لقد عاد بعد ظهر اليوم من إحدى ... اوه ، نزهاته .
بينما كان الجميع يحيونها في نفس الوقت ، ضمها "ريلي" إليه بشدة ليحقق ما عجز عن فعله داخل الحجرة . . امسكته بدورها من وسطه حتى تحافظ على توازنها بعد هذا الحضن ، وعلى اثر هذا الاحتكاك ، احس "ريلي" أن كل جسده قد تكهرب .
يلزمه وقت كي يسمح لها بالجلوس .
– بالتاكيد تتذكرين "شيكو" الذي رايته بعد ظهر اليوم .
عقد "شيكو" ذراعيه .
– إنك لم تعطيني الإكرامية يا سيدتي .
تأففت الأختان "بارتولينو" .
قالت "اليزون" بصوت جميل :
– مساء الخير جميعاً .

تركت ذراع "ريلي" وحاولت ان تبتعد عنه بمسافة .
– إني ابحث عن زوج اختي ، "توني كروش" . من المحتمل ان يكون قد مر بالفندق خلال الثلاثة الشهور الماضية .
يعتقد "ريلي" أن "توني" لا يريد ان يعثر عليه احد لذا فإنه لم يبد متعاوناً . ساكون شاكرا للحصول منكم على اقل معلومة بخصوص هذا الموضوع .
قال "ريلي" وهو يجذب انتباه الجميع :
– إن هذه شؤون عائلية ، لا يجب أن نقحم انفسنا فيها .
– إن اختي سترزق باول طفل لها ، واعتقد .....
قاطعها "ريلي" :
– اعتقد ان "توني" سيرجع إلى منزله عندما يعرف انه من الصواب ان يفعل ذلك .
نظرت له بغيظ واخرجت من جيبها صورة فوتوغرافية قدمتها لإحدى الأختين .
سالت ، وهي تعتذر لانها لم يكن معها سوى هذه الصورة الصغيرة:
– هل قال لك اي شيء ؟
لان "سوزان" لم تكن على علم بخط سيرها ، لم تجرؤ "اليزون" على طلب صورة اخرى منها كي لا تثير شكوكها . تكلمت "مارلين" اولاً :
– متاسفة يا "اليزون" إننا لم نقابله ، فلقد وصلنا إلى هنا منذ اسبوعين فقط .
سالت "باميلا" وهي تمد يدها بالصورة إلى سيد ابيض الشعر كان يرتدي قلادة قس ، بنطلوناً قصيراً ونظارة :
– ماذا عنك يا "فيليب" المبجل ؟ إنك هنا منذ شهور عدة .
وقف "شيكو" على اطراف اصابعه ليلقي نظرة على الصورة ثم هز كتفيه بطريقة مضحكة .
تفحص المبجل الصورة وقتا طويلا قبل ان يرد .
وحبست "اليزون" انفاسها عندما راته يرفع سبابته . سالها بينما

أفصح وجهه عن ابتسامة عريضة :

- هل هو صغير ، أحمر الشعر ، ملتح ؟

استعادت الصورة وتفرست فيها بانتباه :

- كلا . إنه كبير ، أشقر ، وله شارب .

تمتم المبجل - وهو يهز رأسه - ببعض الكلمات عن الخطأ غير القانوني قبل أن يختفي في المطبخ ومعه "شيكو" .

اقتربت من السيد "جارفيلد" .

- هل من الممكن أن تلقي نظرة على هذه الصورة ؟

- بالتأكيد أيتها الآنسة الجميلة .

ألقى الرجل نظرة سريعة على الصورة ، ثم دقق النظر في "اليزون" . وقد ارتعشت شفته العليا .

- لم أره مؤخراً ، لأني لم أتواجد كثيراً هنا في الآونة الأخيرة . كان الرجل يتذكر "توني" . تحدت "اليزون" "ريلي" بنظرتها ، كي تفهمه أنها حققت انتصاراً . الآن قد وجدت أثراً برغم أي شيء يفكر به "ريلي" .

مال السيد "جارفيلد" ناحيتها .

- إني أبحث عن شخص أنا أيضاً .

- أوه ، حقاً ؟

- نعم يا آنستي الجميلة . إنه فني ، ولهذا السبب جئت إلى هنا .

هز رأسه بشدة فانزلقت خصلة من الشعر على جبهته .

- عندما أنتهي من الملف قيد الإعداد الذي معي ، سيمكنني أن أساعدك .

فقدت "اليزون" تفاؤلها وبدأت تشك وهي تلاحظ "ريلي" . كان يتحقق من مخزون شمسياته الورقية متحاشياً النظر إليها .

قالت دون أن تحول عينيها عن "ريلي" :

- ماذا تعمل بالضبط ؟

- إني أفتش عن "الملك" يا آنستي الجميلة .

لم يظهر "ريلي" شيئاً سوى هزة سريعة لحاجبيه . كان هذا كافياً .

سيدفع ثمن هذا ، ببطء وبفظاعة من دمعه ودمه . أغلقت عينيها .

- "الملك" ، مثل "ألفيس بريسلي" يا سيد "جارفيلد" ؟

- هو ، وهو فقط يا آنستي الجميلة .

- متشكرة ، لست في حاجة لمساعدتك .

اقتربت من المشرب .

تمتم "ريلي" :

- إنه غير مؤذ .

- ولا أنا .

- آخ ! آخ !

- إنك تعرف مكان زوج أختي ، أليس كذلك ؟

قال وهو يفتح مظلة ملونة بالأخضر والأصفر ويعلقها فوق عصا ثم يثبتها في الكأس :

- أنا أعرف أنه ليس هنا . شراب قوي ، أول كأس مجاناً .

قربها منها وجاء صوته ودوداً وهو ينظر مباشرة في عينيها :

- اشربيه بعناية .

أمسكت بالكوكتيل وقربته ببطء من شفتيها وشربت بعضا منه ثم وضعته وهي تطرف برموشها مبتسمة :

- هكذا ؟

قال وهو يمسك بذقنها :

- بالضبط .

تنهد :

- ألا ترغبين في كأس أخرى ؟

- ألا ترغب في إخباري عن مكان "توني" ؟

قطب "ريلي" حاجبيه واعتدل . ثم جذب منشفة وبدأ يمسح المشرب .

قالت وهي تجتهد في إخفاء غضبها :

- أنا لا أمزح . لن أترك "سان رافاييل" دون أن أجد "توني" . إن أختي تستحق فرصة أخرى مع زوجها . وطفلها يستحق أن يكون له أب .

اصابت ملاحظتها الأخيرة هدفها . كور المنشفة والقاها خلفه،عندما ينجح في تحرير فكيه من ضغطه عليهما ، سيجتهد في أن يبدو بشا.

– هيه ، هيه . اتصدقين حقاً أني سازعج تفكيري بشخص مر هنا منذ شهور ؟

– تزعج تفكيرك ؟ ما الذي يشغل تفكيرك إذن ؟ بالتأكيد ليس الحصول على عائد مناسب من الفندق . هذا يجعلني اعتقد أن مكيف الهواء فصل من حجرتي .

– أي مكيف ؟

قالت وهي ترفع الكاس إلى شفتيها :

– أوه يا سيدي . إني اتضايق لأني يجب عليَّ أن أذكرك بهذا . إنك لم تعطني مفتاحاً .

دق جرس على البعد .

أعلن لهم جميعاً :

– العشاء جاهز في الشرفة الغربية .

عبر الحجرة لينضم إلى الآخرين سائراً وراء "اليزون" .

– نحن لا نضايق انفسنا بالمفاتيح يا عزيزتي . فالناس تفقدها أو تنسى أن تردها وهم يدفعون الحساب . ثم إن اغلب الزبائن مستواهم متواضع وليس لديهم أشياء يخشون سرقتها على اية حال . اما انت، فإنك على عكسهم . إنك مثل فراشات "باميلا" و"مادلين" .

– ليس هذا صحيحاً .

صمتت لحظة ثم فتحت ذراعيها وتفحصت نفسها :

– ماذا تعني ؟

ترك "ريلي" الباب ينغلق خلف الأختين "بارتولينو" ثم اقترب منها ورد عليها :

قال بينما وضعت يديها على ردفيها :

– ملابسك . إنها انيقة .

ودفع نفسه إليها بإصرار .

– كل ملابسك .

لقد استعاد رؤية ملابس النوم التي تبعثرت فوق الأرض . نظرت "اليزون" أمامها مباشرة لقد جعلها هذا الاحتكاك ترتعش . يا له من شراب ملعون ! نعم ، لابد أن هذا هو تاثير الشراب ، لأنها قالت من قبل : إن "ريلي" لا يروق لها .

مال "ريلي" وتنفس بالقرب من أذنها قبل أن يتمتم بكلمات أشعلتها.

– فيم كنت تفكرين وأنت تعدين حقائب للمجيء هنا يا "الي" ؟

أمسك ذراعيها بحنان فتحررت منه فجأة كما لو كان سيحطم عظامها . تحولت إلى الجانب الآخر حيث يوجد الآخرون وسحبت كرسياً .

– هذا ليس من شأنك . لكني عندما أجد "توني" وأخبره بالتزاماته ، سأذهب إلى "كوستاريكا" . هناك محطة حمامات رائعة مزودة بكل المتع. وبأي حق تناديني "الي" ؟

قال وهو يجلس الأختين :

– هدئي من روعك . كلنا هنا أصدقاء ، أليس كذلك يا سيدتي .

ردت السيدتان معاً قبل أن تضحكا :

– تماماً يا "ريلي" .

قالت "مادلين" :

– "اليزون" إنني و"باميلا" كنا على وشك أن نقول لك : انت تشبهين ملكة جمالنا في هذا القميص وهذه التسريحة .

أضافت "باميلا" قبل أن تبدأ قهقهتها من جديد :

– إنك رائعة الجمال .

شكرتهما "اليزون" على المجاملة بينما ذهب "ريلي" إلى الطرف الآخر من المنضدة ، وهو لا يبدو عليه شيء . أثناء العشاء، تأملت "اليزون" الموقف من جديد . حتى ذلك الحين لم يكن فندق "الفردوس" سوى إخفاق مؤثر في النفس . كانت تأمل أن تجد فيه "توني" . أو على الأقل

تعرف منه أين ذهب . إنها لم تقرر بعد أن تبقى أياماً أكثر . لكن "ريلي أندرسون" كان يعرف أكثر مما يقوله عن "توني" . نظرت إليه بشدة من وراء سلة الخبز وتجولت بعينيها بين الجالسين كي تتأكد أن أحداً لم يرها . إنها لن تبقى قريبة منه بأي طريقة إلا في حالة الضرورة . لقد قالت لنفسها : إنه مثل الغابة . تجذبها حساسيته أكثر مما ترعبها . أربكتها هذه الفكرة بينما بدأت تلتهم "ريلي" بنظراتها من جديد .

قال "ريلي" . وهو يعلم "شيكو" كيف يأكل بطريقة صحيحة بالشوكة والسكين :

- بقوة . هذا أفضل . إذا استمررت هكذا فسيمكنك أن تتغدى مع الرئيس في "بالاسيو" .

جعلها هذا المشهد تبتسم حتى رفع "ريلي" عينيه ناحيتها وغمز لها . حل الغيظ محل متعة مشاهدته وهو يساعد الصبي ووجهت كل اهتمامها إلى الطبق الذي أمامها وهي تدس شوكتها في "عصيدة اليوكة" .

لم يكن من السهل إعداد خطة جديدة للعمل مع الأختين اللتين تتناقشان معاً باللاتينية عن مجموعة فراشاتهما و"فيليب" المبجل الذي كان يشرح باستفاضة كيفية نزع أشواك السمك . كان الموقف مثيرا قليلاً . لكن عندما وجه لها "ريلي" ابتسامة جميلة . ظهرت صور الطفولة في عقلها من جديد . وضعت شوكتها وتأملت الشريكين اللذين يجلسان على الطرف الآخر من المنضدة . وبدأت الصور تتضح .

كان والداها يقرأن لها القصص كل بدوره ... وهما جالسان بجوارها في السينما .. يشاهدان التليفزيون ... حبست أنفاسها وأمسكت بيد أختها ... لأن العالم كان مكاناً غريباً ... من الضحكات والحب... وماذا ؟

ما هذه الضجة ؟

شيء ما كان يحدث ضجة في رأسها . أسكت "ريلي" الجميع .

ظلوا جميعاً صامتين وهم ينظرون إلى قامته الفارعة . ارتعشت

"اليزون" خوفاً عندما رفع "ريلي" أصبعه أمام شفتيه المغلقتين .

كتمت أنفاسها . مهما يكن هناك وراء هذه الغابات . مهما كان شكل الرعب المداهم . كانت تعرف شيئاً واحداً . حقيقة أساسية ومدهشة هي أن ! "ريلي" سينقذها .

انتظر "ريلي" فترة طويلة قبل أن يبدأ في تقليد رفرفة الطيور . وفي كل مرة كان يتوقف فيها كانت الضجة تشتد . سمع برطمة شفاه مرات عديدة ثم نادى برقة : "تيت دوبيوش" (ومعناها رأس المغول) يا "تيت دوبيوش" . تعال إلى بابا" .

ترك القرد الغصن وقفز على كتف "ريلي" .

ولف ذراعه القصيرة المشعرة حول رقبته بينما تذمر الجالسون على المنضدة من "تيت دو بيوش" على اختفائه مدة طويلة . إنه ظهر واختفى بعض المرات وهم يتناولون العشاء .

كانت "اليزون" دهشة . "طرزان" . كل ما تراه الآن يذكرها بـ"طرزان" . البطل المحبوب منذ طفولتها كان جالساً أمامها . قرد فوق كتفه . وصبي صغير بجواره . وكل هذه الأدغال الرائعة من خلفه . كان بإمكانها أن تظل تتأمله ساعات طويلة وهي تستعيد رؤية أحلام طفولتها . كم كانت تحب تلك القصص التي كانت تقرؤها وتعيد قراءتها باستمرار .

تمتمت وهي مأخوذة ومثارة :

- "شيتا" ؟

استدار الرأس الصغير وغمز لها بأدب .

صحح لها "ريلي" وهو يمسك بثمرة فاكهة من السلة قبل أن يترك مقعده :

- "تيت دوبيوش" .

اختفى القرد وراء "ريلي" . لم يعد يظهر منه سوى رقبته وقدميه.

اقترب "ريلي" من "اليزون" وهو يصدر نغمات غريبة . مريحة . وقف إلى جانب زائرته السعيدة ومد لها يده بثمرة التين . دارت عيناها في

تعجب .

قال لها "ريلي" :

- لا تسقطيها .

رفع القرد على ذراعه وعندما رأى هذا الأخير ثمرة التين ، قفز على "اليزون" وأراد أن يأخذها منها . تسمرت وأمسكت بالثمرة بشدة .

هاج القرد بشدة لأنه لم يحصل عليها . لم يثبط هذا من عزيمة "تيت دوبيوش" الذي دس يده الصغيرة في فتحة "تي شيرتها" وهو يصرخ بشدة .

تشبثت "اليزون" بكرسيها وهي لاهثة .

قال لها :

- لا تخافي ، فقط اهدئي .

ودس إصبعين في كورسيه "اليزون" التي حملقت لهذا التعدي المفاجئ .

قال وهو مستمر في تهدئة الحيوان :

- لا تتحركي .

كان يداعب بشرتها الناعمة وهو يحاول العثور على الثمرة . كانت هذه صدمة حقاً لكنه عندما بدأ في عمل حركات متعمدة أحست بقشعريرة متعة تغزو كل جسدها .

تمتم "ريلي" كاذباً :

- أسف . إنه ضيق قليلاً .

تأوهت عندما اشتدت الرغبة بداخلها .

قال أخيراً :

- أعتقد أني قد عثرت عليها .

ظهرت الثمرة ، فالتقطها القرد وهرب بها وهو يصيح . تبعه الجميع الذين كانوا جالسين في الشرفة .

كانت يدا "اليزون" متعلقتين بالكرسي ورأسها مستنداً إلى الخلف وكأنها تحاول أن تهدئ نفسها ، بدأ "ريلي" يداعب بشرتها من جديد

الآن وقد انتهى الهلع ، ستثيرها مداعبته .

- دعينا نلق نظرة على هذا .

نلقي نظرة ! هل فقد عقله ؟ أبعدت يده عنها ونهضت ثم دفعته عنها بعنف كي تمر .

قالت له :

- أحذرك أن تفعل مثل هذا مرة ثانية .

- إذا كنت قد خدشت يجب أن نعالج هذا الخدش على الفور .

تبعها وهي تلحق بالمجموعة في الشرفة . عندما رآها تشق طريقاً في وسطهم توقف عن متابعتها .

- في هذا الجو ، أخشى ألا أستطيع معالجة جروحها .

قال "شيكو" وهو يدفع بالرجل الذي يتضاعف طوله عن طول الشابة:

- هذا معروف ، الحق بها . إنها سترحل دون أن تعطيني الإكرامية.

استكمل "ريلي" متابعتها وقد أحس بالتشجيع من كل الموجودين .

أخذ معه ناموسية وحقيبة واقترب من غرفتها في خطى بطيئة .

قال لنفسه : "لا شيء سوى نهار آخر في فندق "الفردوس" : الآن فقط. إحدى زبائنه تريد أن تفلت بجلدها . لم يدهشه هذا بالتأكيد لكنه تساءل : كيف ستحصل عليه .؟

فتحت له الباب قبل أن يقرعه ، وكأنها كانت تنتظره .

سألها وهو يدخل الحجرة :

- هل أمك "تيت دوبيوش" ؟

تحاشى النظر في عينيها . صفقت الباب .

- كلا ، لم يؤلمني .

قال وهو يعتلي السرير بقدميه العاريتين :

- حسناً .

بعد الضربات المتبادلة على العشاء ، لم تكن لديه النية أن يتأخر هنا. وضع الناموسية . وأحس بخبطة ثقيلة على ردفيه .

- لقد كدت أموت من الرعب بسبب "تيت دوبيوش" !

بصوت عذب رد عليها :

- لا تضخمي الأمر . اهدئي . حرري شعرك ، اصنعي منه ذيل حصان مثلي .

- احذرك أن توجه إليَّ اية نصائح بعد ذلك العرض . ما الذي اتى بك إلى هنا ؟ اتعتقد أن هذا مركز ترويض ؟

كانت تحاول أن تفهمه أنها غاضبة :

- كيف حصلت على هذه الوظيفة ؟ من كلفك بها ؟

قال وهو يثبت الناموسية جيداً :

- كلفني ؟ هيه ، أيتها الفتاة الصغيرة ، إن هذا المكان ملكي .

اشارت بإصبعها السبابة إليه :

- فندق "الفردوس" ملكك ؟ لكن كيف تدير هذا الفندق البالي ؟

نزل من فوق السرير ووقف على بعد سنتيمترات منها ، ثم قال لها بفخر وهو يبتسم :

- لقد ربحته وانا العب الورق .

لوت فمها .

لقد ربحه بالفعل في لعب الورق ، في صالة "تيلور" إخصائي تحضير العقاقير . منذ اقل من عشر سنوات . وهو يلعب أمام ثلاث من الشخصيات المهمة . وتفوق عليهم لمعرفته بقواعد اللعبة الذي سمح له بالتلاعب ليصبح "مالكا" لفندق "الفردوس" . إلى أن تعود عينات البروماليات إلى معمل المؤسسة بعد ذلك سياخذ مكانه سعيد آخر . ذكر نفسه : "لكن هذه المعلومة السرية الأخيرة لا يجب أن تعرفها "اليزون ريتشارد" . ولا موضوع زوج أختها "توني كروش" . الذي يعمل عالم نبات والذي كان عليه أن يجمع عينات نباتات من البروماليات .

هزت رأسها :

- في الورق . هذا يفسر كل شيء .

قال لنفسه غاضباً : "ها هي قد بدأت" .

لسعته ابتسامتها اللائمة بشدة .

سألها بهدوء :

- ماذا يعني هذا بالضبط ؟

- هذا يعني أني بدأت أفهم : لماذا تحرص على عدم قول اي شيء عن "توني" ؟ .

سألها وهو يتقدم ناحيتها :

- ولماذا إذن ؟

تراجعت للخلف ، كانت تبدو في قميصها اللامع وشعرها الذي تعلق به البكرات مثل الفراشة . اكثر منها نائبة مدير بنك ، وهي مطاردة من رجل يريد صيدها قالت وهي تلتصق بالحائط :

- لأنك مراوغ ، مثير للأعصاب وغير مسؤول .

- إنك لا تعرفين عن اي شيء تتكلمين .

- أنا أعرف جيداً ما الذي أتكلم عنه .

ودقت بإصبعها فوق صدره .

- عنك .

"نظر في عينيها الزرقاوين الواسعتين واراد ان يصيح فيها : إن لديَّ أسباباً وجيهة . إني أحمي مصالح زوج أختك ومصالحي بتصرفي هكذا" . لم يستطع أن يكلمها عن خطر مؤسسة استغلال الغابات التي لن تتراجع عن شيء للحصول على هذه الغابة الاستوائية وهذا ما كان يحبطه أكثر .

- اسكتي .

- كلا . إنك مراوغ . غير مسؤول ومثير للأعصاب . وقليل الأدب أيضاً .

صاح وهو يضع راحة يده على الحائط خلفها :

- ألن تسكتي ؟

- أخبرني .

لقد قبل تحديها ، وأمال رأسه ثم احتوى شفتيها في فمه في قبلة طويلة حتى أصبحت لا ترغب في أي شيء سوى الاقتراب منه أكثر .

ارادت ان تتعلق بكمي قميصه لكنها احست بذراعيه القويتين تحوطان وسطها وتضمانها إليه اكثر وطالت القبلة اكثر حتى قرع احدهم الباب.

استطاع أن يقول قبل أن تمسك بشفتيه في فمها :

- هيا نخرج . هل تريدين الشجار ؟

قال "شيكو" هامساً :

- "ريلي" ! "ريلي" ! لقد عاد "تيت دوبيوش" .

بينما انصرف الولد إلى الشرفة ، انكمشت "اليزون" بين ذراعي "ريلي" رفع راسه ، وهو مازال منفعلاً .

قالت بلهجة ليست مقنعة :

- انا ... انا مرهقة .

لمعت عيناها عندما داعب خدها بسبابته .

قال وهو يقترب من شفتيها :

- إنك لست مرهقة .

ابتعدت عنه وهي ترتعش .

- اخرج الآن .

أوما وتنفس بصعوبة .

- إنك ظاهرة طبيعية مقدسة أيتها الفتاة الصغيرة .

ازدردت لعابها :

- بخصوص موضوع زوج اختي . هل ستخبرني اين هو ؟

- ها هو ما كنت ساقوله لك .

مال ناحيتها لكنها تحركت .

تابعت :

- ساستقل أول طائرة إلى "سان ريمو" .

قال :

- إن قلة الصبر تقتلني !

وخرج صافقاً الباب خلفه بشدة .

الفصل الثالث

كان من السهل العثور عليها .

شكر "ريلي" الله عندما راها تجلس في مشرب فندق "سان ريمو" ثاني يوم بعد الظهر . طلب قدحاً من الشراب واتجه ناحيتها متخطياً صفاً من النخيل المزروع في أصص ومجموعة من الببغاوات التي كانت تطلق صرخات قوية في اقفاصها .

لم تلحظ قدومه وهي تدس انفها في بطاقة . لم يضايقه هذا . فبهذا الشكل يمكنه أن يتامل حقيقة "اليزون" في دقائق . عندما سقط نظره عليها ، كانت تشبه العروس "باربي" . بملابس المعسكر ، شورت كاكي منديل وردي مربوط حول عنقها وقبعتها العسكرية معلقة فوق مسند الكرسي . ابطا "ريلي" خطاه وهو يبتسم ثم توقف . كانت تداعب خدها بطرف ضفيرتها . لم يفهم لماذا تفعل مثل هذه الحركة التي تحمل معنى غزليا . كان يشعر بانه منتعش كلياً ثم استاء وهو يجذب الخياطة الداخلية لبنطلونه قبل أن يتابع سيره تجاه المنضدة . أسقط قبعته وانتظر حتى ترفع عينيها .

- هل يضايقك لو جلست ؟

اهتزت البطاقة الكبيرة في يدها ، ترددت قبل ان تجيب . لقد حان وقت الاعتدال ، ببطء وبطريقة ارستقراطية تماماً قالت :

- نعم ، يضايقني ، إني انتظر شخصا .

اعادت له قبعته وغاصت في البطاقة من جديد .

جلس "ريلي" رغم ذلك وابتلع جرعة من الشراب :

- من ؟

- بما انك جلست ، اسمه "رامون كوينتيرو" .

ثم اكتشفت انها تحدثت كثيراً فعقدت ذراعيها حول صدرها وحولت عينيها .

- ماذا تريد يا "ريلي" ؟

تجاهل سؤالها واظهر الدهشة :

- "رامون كوينتيرو" ؟

اتى صفارة طويلة وهو يستند إلى كرسيه ويؤرجحه للخلف .

- هل انت متاكدة انك تريدين اللجوء إليه ؟ إنه شخص سيئ وبوصفي مرشدا لا أريد الكلام عن هذا الأمر ، لقد سمعتهم يقولون : إنه تخلص من آخر عميلين له في "مادر دو ديو" .

هزت رأسها واصطكت أسنانها قبل أن ترد :

- لقد قلت لك : إني اتخذت قراري .

قرأت البطاقة وبدأت في تفحصها من جديد .

- لن أرحل دون أن أعثر على "توني" . فلا تتعب نفسك بمحاولة تخويفي .

تنفس ببطء وأخرج الهواء بهدوء وهو يلمس قدح شرابه كلما رآها، أدرك أنها مصرة على تنفيذ أي شيء لتصل لهدفها . إنها اكثر إصراراً منه ، وهو يحاول الوصول لهدفه . تفرس فيها ، باحثاً عن العيب في هدوئها البارد . وبعد دقائق نظرت في ساعتها والتفتت ناحية الباب .

- يهيأ لي انك لم تات إلى هنا لتفسد ظهيرتي فقط ، فلتذهب لتفعل ما جئت من اجله ودعني افعل مثلك .

إذا كان متحيراً في تنفيذ خطته ، فلم يكن هناك احد مع ان "اليزون" قد تكلمت عن "رامون كوينتيرو" لأن "رامون" لم يتسلم مكافاته بعد ، لأن كل الناس في المدينة فهمت ان مؤسسة "الديابلو" لاستغلال الغابات كانت ستعرف ان هناك عالم نبات امريكيا يسمى "توني كروش" في الغابة الاستوائية . سيستطيع "ريلي" أن يقول : وداعاً لفكرة لفت نظر "تيلور" المختص في تحضير العقاقير . كان شيئا لا يحتمل ان يقول لنفسه : إن "الديابلو" تستعد لوضع يدها على الغابة وإنه سيكون من المستحيل أن تقيم فيها معملاً للابحاث المتعلقة بتحضير العقاقير .

وضع قدح الشراب امامه محدثاً ضجة وامسك بيدها . وهو يؤرجح كرسيه إلى الامام :

- "اليزون" ؟

- ماذا ؟

- لقد جئت بحثاً عنك .

- ولم ؟

هل لأنك لن يمكنك طرد ذكرى تلك القبلة من عقلك ؟ هل لأنك صحوت في منتصف الليل وقد تملكتك الرغبة في استرجاع ما فعلناه معا ؟

ابتلعت تلك الأسئلة وسألته :

- هل عندك اخبار جديدة عن "توني" ؟ هل عاد إلى الفندق ؟

- كلا . لكني فكرت في اختلاف الآراء الذي حدث بيننا .

اخرج تنهيدة خضوع :

- لقد اخطأت ، وكان عندك الحق . "توني كروش" من حقه أن يعرف انه سيصبح اباً . انا اعرف أين يمكن أن أجده . إذا كنت مازلت مهتمة بالأمر ، يمكنني ان اصطحبك إليه .

- أوه .

حاولت أن تتخلص من الشعور الغريب بخيبة الأمل الذي كان

يتملكها وهي تجذب يدها . بالطبع لم يكن هذا بسبب القبلة التي تبادلاها ولا لحظات التقارب تلك التي كانت راضية عنها . ومع ذلك يبقى شيء آخر : هو فكرة اطمئنانها إليه ، اليس كذلك ؟ تفرست فيه غير مصدقة ؛ هناك شيء يحدث خلف عينيه الخضراوين الساحرتين .

ربما غير "ريلي" رأيه وموقفه ، ربما كان يستحق الثقة التي لم تحسب انه يستحقها في البداية . ربما لا . وربما لو استمرت في التفكير هكذا ؛ ينفجر مخها .

– لماذا ستفعل كل هذا من أجلي يا "ريلي" ؟

– انا لا افعله من اجلك . "توني" يستحق أن يعرف .

كانت تنتظر أن يرمش بعينيه حتى تحس بالطمانينة التي اعتادت أن تحس بها معه . لكنه نظر إليها بشدة حتى ساد التوتر بينهما من جديد . وعندما تضايقت وهي تجد نفسها متحيرة هكذا أسبلت عينيها .

– من يهتم بالفندق ؟

– المبجل "فيليب" يهتم باعمال المطبخ ، والأختان "بارتولينو" تهتمان باعمال النظافة في مقابل تخفيض تكلفة إقامتهما . اما السيد "جارفيلد" فقد رحل في اثر "الفيس" .

لن تبدي له اية ملاحظات عن عدم إحساسه بالمسؤولية تجاه الفندق. فقد كان لديها بالفعل ما يكفي لشغل تفكيرها .

– لا أعرف ماذا اقول . في أول الأمر ، تامرني بان اعود إلى منزلي والآن تقترح عليَّ اصطحابي إلى "توني" . وهي تهز راسها وضعت إصبعها بين شفتيها ثم وجهته إليه .

قالت بإصرار :

– كلا . هناك شيء آخر . إنك لم تخبرني بكل شيء .

تقدم "ريلي" .

– هل هذا شيء مستحيل : أن يغير المرء رايه وأن يعترف بانه كان مخطئاً ؟

– يجب أن تجد شيئاً أكثر إقناعاً من هذا .

– مثل ماذا ؟

وقبل إن ترد عليه ، سمعا صوتاً يصيح باسم "ريلي" .

اجتاز "شيكو" الباب وهو يجري . كان ينتحب وهو يفتش في الغرفة بعينيه بعصبية . وبمجرد أن لمح "ريلي" أسرع والقى نفسه في أحضانه .

انصاف الكلمات الإسبانية التي قالها بين لهاثه كانت ترن في الصالة الفارغة .

وقفت "اليزون" على الفور ولفت حول المنضدة .

سالته وهي تخلع المنديل الوردي الذي كانت تلفه حول رقبتها :

– ماذا هناك ؟ ماذا جرى ؟

تمكنت من مسح انفه وعينيه برفق قبل أن يدس راسه في كتف "ريلي" .

– لقد اتى معي كي يزور والده ، لكنه فشل . يبدو أن شركة الأخشاب التي يعمل بها ارسلته امس للتخييم في عالية النهر . رفعت راسها ببطء ثم تراجعت :

– هل أركبته الطائرة إلى هنا ليرى والده ؟

ربت "ريلي" كتف الصبي وهو يلعن نفسه ، ثم ارجع شعره الأسود ، الذي كان ينسدل على جبهته إلى الوراء .

– نعم ، لكن كان عليَّ أن افعل ذلك مبكراً عن هذا .

رفع "ريلي" ذقن الصبي باصبعه وتحدث معه بالإسبانية بلهجة مطمئنة .

لم تفهم الكثير مما قاله لكن لهجته اعتصرت قلبها . وعلى الفور هدأت الصبي ولم تظهر إلا على فترات متباعدة تفرست فيهما بشدة .

سالته بلطف :

– ما رايك في كوكاكولا يا "شيكو" ؟

رد "ريلي" دون أن يبعد عينيه عن الصبي :

- إنه يحبها . بشرط ان تكون في الزجاجة . الست مسروراً هكذا يا "شيكو" ؟

اوما "شيكو" موافقا دون أن يستدير :

- سافتحها بنفسي يا سيدتي .

اتجهت ناحية المشرب وقد ادركت انها حصلت على إجابة . فالطريقة التي تصرف بها "ريلي" مع الصبي كانت اكثر إقناعاً من كل التفسيرات التي حاول أن يقدمها لها .

كلما سنحت الفرصة ، تكتشف أن لـ "ريلي" قلبا كبيرا في نقاء الثلج ونعومة القطيفة .

عندما عادت للمنضدة ، واتتها فكرة :

- "ريلي" اين ذلك المخيم ؟

- عالياً بالقرب من "بوكالي" .

- هل يمكننا العثور على "توني" هناك ؟

- نعم .

قالت وهي تمد يدها بالمشروب لـ"شيكو" :

- ممتاز .

- إذا كنت تقترح عليَّ أن تقودني إلى "توني" . فليس امامنا سوى ان ناخذ "شيكو" معنا .

ساله "شيكو" وهو يجذبه من حزامه ويسكب الكوكاكولا فوق بنطلونه :

- هل نستطيع أن نذهب إلى هناك يا "ريلي" ؟ هل نستطيع ؟

قال وهو يقف ليفحص مساحة كارثته .

- إنك تفكرين جيداً .

عندما لاحظ انها بقعة صغيرة ، طوى البطاقة ووضعها على المنضدة .

- بمجرد أن نحصل على حقائب تحمل على الظهر .

قالت قبل أن تجلس :

- اوه . انا لست في حاجة لحقيبة تحمل على الظهر ، لديَّ مكان كاف في حقائب سفري .

- ستاخذين فقط ما يمكن أن تحمليه على ظهرك . اختاري بعناية . سنسافر مدة أسبوع على الاقل .

قفزت من كرسيها :

- أسبوع !

قال وهو يضع قبعتها فوق راس "شيكو" :

- على الاقل ، هيا بنا ، لدينا اشياء يجب القيام بها .

القى بعض النقود على المنضدة ثم توجه ناحية الباب وتبعه "شيكو" .

قالت وهي تمسك بالبطاقة وحقيبة يدها قبل أن تسرع للحاق بهما :

- لقد قلت : إنك تعرف مكانه . لماذا نستغرق كل هذا الوقت للعثور عليه ؟ ماذا يفعل هناك ؟

- لان علينا ان نستقل قارباً . وبعد القارب سنسير في الغابة مدة يوم او يومين . اما ماذا يفعل ، فهذه مشكلته .

سال وهم يقابلون شمس آخر اليوم :

- هل تعتقدين اننا سنصل إلى هناك ؟

بدات ضخامة قرارها تحدث آثارها . في الغابة مع "ريلي" ... مدة ايام ، توقفت عن السير قبل أن تدرك أن عليها أن تشق طريقها وسط الزحام لتلحق بهما .

ردت على "ريلي" بطريقة فظة :

- بالتاكيد ساصل ، إذا لم تصل انت هناك وانت تعدو . منذ ان غادروا العاصمة ، من يومين ، و"اليزون" تتحاشاه وكلما اقتربوا من

"بوكالي" ، احست بالراحة وهي تقضي معظم الوقت في تامل الادغال .

ابتسم "ريلي" في نفسه عندما راها تتحرك على الجسر برغم التمايلات . هذا المشهد اسعد الرجل الذي كان نائماً بداخله . كانت تمحو وجود كل راقصات الملاهي الليلية وهي تجتهد للحفاظ على توازنها .

كان يعرف ، وهو يراها تتقدم بإصرار ، انها اتية لمقابلته . عرف ذلك ايضاً من الطريقة التي نفشت بها انفها وهي تفصح له عن تلك الابتسامة الباهتة المعتادة . استند إلى الخلف وانتظرها.

لم يكن ليعرف : ما الذي ستقوله له ؟ لكنه بالتاكيد سيكون موضوعاً لذيذاً . ومع ذلك فإنها ستتكلم .

قالت بمرح شديد اكد شكوكه على الفور :

– صباح الخير .

– صباح الخير .

القت نظرة سريعة على القرد داخل القفص وسالته :

– ما اسم هذا المكان الذي توقفنا فيه تواً ؟

– "اوكا اوكا" في مقاطعة "براديس" . هذا النهر يلغي الحدود بين "براديس" والشرق . سنغادر السفينة في الشرق في "بوكالي" ليتمكن "شيكو" من رؤية والده . بعد ذلك انا وانت نركب العبارة ونعبر النهر حتى "براديس" . تامل قميصها لحظة ثم جلا صوته :

– هل نمت جيداً ؟ "هل ترتدين تلك الملابس الداخلية الشفافة التي اتخيلها اسفل قميصك" ؟

– نعم ، نمت جيداً جداً .

ابتسم ، ربما لا يكون موهوباً مثلها حتى ينفش انفه لكنه بالتاكيد لديه مواهب اخرى ، مثل إغراق نظرته في نظرتها . دون ان يحول عينيه عنها حتى تبدأ في العرق . المشكلة هي لو انتهى الامر بان يعرق

هو الآخر .

استدار ليدخل قطعة فاكهة في القفص الذي كان خلفه .

– اين "شيكو" ؟

قالت وعيناها مركزتان على ذراعه القوية التي داخل القفص :

– لم اره منذ ان كنا في المشرب . قل لي : لم رجعت إلى الفندق؟

– بحثاً عن "تيت دوبيوش" .

إنها لم تترك مكانها المنعزل كي تاتي للسؤال عن القرد ، لكنها تلعب لعبة ، تباً . إنه سيصبح مستعداً لفعل اي شيء كي تبقى بجانبه . وكالعادة ، فعل اقصى ما باستطاعته كي يمنع نفسه من احتضانها ، إنه يشم رائحة شعرها يتذوقها ويتلذذ بها كلياً .

– "تيت دوبيوش" بدأ يفضل الإنسان على امثاله من الحيوانات. لقد قررت ان اصطحبه في نزهة بعد ان خدش ...

اشار "ريلي" إلى صدره وهو يتذكر متعة وإثارة الإحساس الذي تملكه وهو يضع يده في فتحة صدرها كي يخرج التينة .

ولقد سببت له هذه الذكرى تنميلا في يده جعله يرغب في مداعبة بشرتها التي كانت مثل الحرير الدافيء .

قالت وهي تلف اصبعها حول إطار ساعتها :

– اردت ان تقول خدش "صدرك" .

قطبت حاجبيها وقد اصبحت متحيرة من جديد ، فمررت لسانها على طول اسنانها قبل ان تقول :

– "ريلي" . لقد اردت ان اكلمك في هذا الامر قبل ان نرحل للتجول في الادغال ، اريدك ان تعرف اني ليس عندي ادنى نية في ان تكون لي علاقة حميمة معك .

– مفهوم .

– إذن لو كنت تامل ان ...

- مطلقاً .
- أريد أن أقول : إنه من الأفضل أن تسوي ...
- لقد سوي الأمر .
فتحت فمها كي ترد لكنها أغلقته وهزت رأسها هزات سريعة . استدارت وابتعدت فوق الجسر . كان يعرف أن باستطاعته أن يقترح عليها أن تجثو على ركبتيها كي تحقق توازنها . لكن بما أنها بدأت في التمايل من جديد بطريقة ظريفة . فضل أن يتركها هكذا .
- "الي" ؟
أمسكت بدرابزين السفينة وقد أعلنت لهما صفارة أنهما قد وصلا "بوكالي" .
- اسمي "اليزون" .
- "اليزون" .
وضع يده على قبعته وابتسم .
توقفت السفينة بشدة . فأمالتها ناحية السور . نفضت شورتها كي تزيل بقعة الصدأ التي علقت به . أمسكت حقيبة ظهرها واتجهت نحو الممر الخشبي .
في الحقيقة . لقد ساعدها قول "ريلي" على رؤيته بوضوح . فقد كانت ممزقة حتى تلك اللحظة . كانت تشعر بانجذاب إليه وتساءلت عم يمكن أن يحدث بينهما إذا أصبحا منفردين ؟ تخيلت "ريلي" اللطيف، الودود الذي لا يقاوم وهو يقودها داخل الجنة الاستوائية .
وقد خشيت أن تستسلم لهذا الإغراء .
والآن كلمة صدرك هذه أيضاً .
هزت رأسها دون أن تهتم بأن هناك أشخاصا كثيرين يتفرسون فيها بينما استمرت في التذمر .
بعد مرور ساعتين كانا قد عبرا الـ"ريو فيرد" وأصبحا على بعد

بضعة أمتار من الشاطئ . وصف لها "ريلي" الطريق في جملتين . لكنها لم تتبينه من تشابك النباتات .
في لحظة إحباط انتابتها الرغبة في أن تعلن له أنها لن تذهب إلى هناك . وأنها تفضل البقاء في أي فندق في "بوكالي" بينما يذهب هو للبحث عن "توني" . تأملت "بوكالي" على الجانب الآخر من النهر ثم نظرت في ساعتها .
إذا لم يسرعا في طريقهما فسينتهي بهما الحال إلى الانسحاب.
سألت وهي تقطع المحادثة الإسبانية الحادة بين "ريلي" و"شيكو" :
- كيف حاله ؟
- ليس بخير يا سيدتي . وهذه غلطتك .
- غلطتي ؟
استدارت ناحية "ريلي" .
- لماذا غلطتي ؟ هل أخفق من جديد في رؤية والده ؟
قال "شيكو" قبل أن يمسح دموعه وهو يبتعد :
- قل لها يا "ريلي" .
- أعتقد أنه ينبغي علينا أن نبقى في "بوكالي" لحين عودة والده . يمكن أن يستغرق هذا ثلاثة أو أربعة أيام .
تمتمت لتنبه "ريلي" :
- وهل هذه غلطتي ؟
رد وهو يثبت زمام القرد في حزامه :
- بالتأكيد لا . اسمعي . لا يمكنني أن أتركه في "بوكالي" ولم يعد بإمكاني اصطحابه في الأدغال .
قالت وهي ساخطة :
- أعرف هذا جيداً .
تراجعت . عندما وضع القرد ذراعه على كتف "ريلي" تابعت :

- ربما سيكون عليّ أن أحاول محادثته .

- اتركي هذا الأمر لي وساكلمه رجل لرجل .

ادارت عينيها ثم دقت على ساعتها :

- إنك تقول : إن علينا أن نسرع في الطريق كي نحتمي قبل بداية امطار ما بعد الظهيرة . وهانت تتناقش مدة عشرين دقيقة .

رجع "شيكو" وهو يطرق الارض بقدمه ، ناظراً لها بضيق شديد .

- "ريلي" يؤكد أن "بوكالي" لا تصلح لإقامة السيدات . وقال : إنه يجب أن يقودنا إلى الادغال لتكوني في أمان وبعد ذلك يعيدني إلى "بوكالي" .

لوى الصبي يديه ، وهز راسه وقد احتبست الدموع في عينيه .

- لن نستطيع لقاءه يا "ريلي" . لن نستطيع وهذه غلطتها .

- "شيكو" ، ليست هذه غلطتها .

خلعت الحقيبة التي كانت تحملها على كتفها بجفاف وتركتها تسقط فوق قدم "ريلي" .

قالت لـ "ريلي" وهي تمسك بيد الصبي وتقوده نحو الشاطئ :

- كلام امراة لطفل .

اشارت له إلى مكان جاف جلس فيه ثم جلست بجانبه .

- ساقص عليك حكاية .

اعتدل "شيكو" موجهاً نظرة متشككة إلى "ريلي" وهز كتفيه :

- هل سيستغرق هذا وقتاً طويلاً يا سيدتي ؟

قالت وهي تدير وجه الصبي ناحيتها :

- ممكن ، لكن بما اننا امامنا مسيرة طويلة ، ساختصر الحكاية.

- اسرعي .

- هل تعرف الحوت ؟

قال وهو يبعد خصلات الشعر عن عينيه :

- نعم ، بالتاكيد . لقد رأيت صورته في كتاب .

- حسنا ، ذات يوم ، عندما كنت في مثل سنك ، كنت في البحر مع والدي ، جاء حوت كبير وصدم قاربنا بشدة :

ثم اكملت وقد رات الصبي ينظر إليها فاتحاً عينيه على آخرهما:

- صرخت أختي ، وكنت انا ابكي . لم يتوقف الحوت عن صدم القارب . لقد أصابنا الهلع من هذه الكارثة ذكرنا والدي أنه القائد وأنه لابد علينا أن نعتمد عليه . ونمتثل لاوامره . فهو سيفعل ما يجب فعله.

استنشقت كمية كبيرة من الهواء واخرجتها ببطء !

- نحن أحياء الآن لاننا امتثلنا لاوامر القائد . و "ريلي" هو قائدنا الآن يا "شيكو" .

- نعم ، لكن ماذا جرى للحوت ؟

ربت وهي تعود لـ "ريلي" والقرد . وقد تبعها الصبي :

- ليس امامي وقت لاحكي لك هذا الآن .

قال "شيكو" وهو يشير نحو الغابة :

- هيا بنا يا "ريلي" .

حملت حقيبة الظهر على كتفها ورفعت عينيها ناحية "ريلي" . اعلنت وهي تعرف أنها نجحت في إدهاش "ريلي" :

- لقد قال الصبي "هيا بنا" . فهيا بنا .

سالها وهو فاقد التركيز مشيراً إلى "شيكو" :

- كيف فعلت هذا ؟

جرى الصبي إلى بداية الطريق وهو يجتهد في وضع الحقيبة على ظهره .

– استخدمت مفهوما تجاريا . نسميه نحن – المتحضرين – المفاوضة . شيء يريده مقابل شيء أريده .

ثم اكملت وهي تضع يديها في جيبيها :

– عليك أن تستخدم هذا المفهوم يوماً .

اتجها نحو "شيكو" على بداية الطريق . لقد استمر انتصارها فترة قصيرة عندما رات الصبي يبدو متشككاً فجاة :

قال قبل أن يختفي بين النباتات :

– قصة الحوت هذه كان لها هدف يا سيدتي .

ترنحت "اليزون" .

هز "ريلي" حاجبيه :

– الحوت ؟

تظاهرت بانها لم تلاحظ ابتسامته الساخرة وقامت باول خطواتها نحو الغابة . كان بإمكانها أن تستمر في السير لكنها اخطات وتوقفت لتنظر إليه . إن هذه هي اللحظة المناسبة لتلقي إليه ملاحظة وقحة لكنها لم تنطق بكلمة ، والاكثر من ذلك لقد تقابلت نظرتاهما مما جعلها تلهث .

مال ناحيتها وقد اهتز صوته :

– أود لو أسمع هذه الحكاية . ربما يمكننا أن نتفاوض .

ظهرت ابتسامة سخرية على جانب فم الشابة :

– شيء ستريده ، أمام شيء أريده . فما رأيك ؟

غمز لها فاغلقت عينيها .

صبي معاند في العاشرة من عمره .

قرد أعجبه صدرها .

ورجل يجعلها ترغب في إظهار اهتمامها وتشرد في تخيلاتها .

تساءلت :

– هل كل شيء دائما على قدر قوته ؟

قال :

– لابد أنها ستكون رحلة طويلة .

الفصل الرابع

ست ساعات من السير المتواصل ولا يمكن ان تقارن ما تتخيله عن جهدهم المضني بالآلام التي كانت تشعر بها . لكنها كانت تتحملها ؛ لأن كل هذا في سبيل لقاء "توني" .

رفعت عينيها من على الأرض فرأت "ريلي" الذي كان يستريح أسفل شجرة في انتظارها . كان يبدو شاباً وسيماً يستحق ان يقوم بإعلانات مزيلات العرق . ولقد تساءلت : كيف تبدو وقد ظهرت بعض الحبوب في كعبها وحرق سير الحقيبة كتفها . أسندت كلتا يديها على الشجرة واجتهدت كي تقطب حاجبيها .

بدأت ، وقد تقطعت أنفاسها :

- كنت أعتقد ... اننا اتفقنا ألا ... تعدو .

- بالتأكيد ، لأنك أصررت أن ننهي الرحلة في نهار واحد . أتتذكرين؟

تمكنت من أن ترد بعد أن وضعت ظهر يدها فوق جبهتها :

- نعم .

صاح "شيكو" وهو يتخطاهما وهو يعدو :

- هيه ، أتريدين أن تدخلي سباق العدو يا سيدتي ؟

أشارت إلى الصبي وهي مازالت تلهث :

- "ريلي" ، إنه ... إنه سيضل الطريق .

- لا ، كل شيء على ما يرام . إنه مازال مثاراً من قصتك عن الحوت ، ثم إنه لم يبق أمامنا سوى شاطئ .

- شاطئ ؟

رد ببطء وهو يتفرس فيها :

- نعم .

استدار فجاة وتابع سيره .

- يجب أن نبتعد عن هنا قبل غروب الشمس ، وإلا فسنخاطر بمواجهة المشاكل .

قالت وهي تلحق به بعدم لياقة :

- "ريلي" . انتظر . من فضلك . انتظر .

كان الإرهاق والقلق يقتلانها .

- يجب أن أسالك سؤالاً .

وضع يده على كمه ولم يلتفت إليها :

- ألا يمكن لهذا السؤال أن ينتظر ؟

- كلا . إنه عن موضوع "توني" .

رد وهو يتقدم خطوة للأمام :

- إذن ، اسألي "توني" .

- من فضلك يا "ريلي" .

لم يتأمل حالته المرهفة الحساسة ولا رقة قلبه . لكنها عندما لمست

كوعه ، بدا يشك في نفسه ، أوه كوعي ، بحق السماء !

قال وهو يرافق كلماته بهز كتفيه .

- موافق ، قولي .

عندما استدار وجدها تمرر إصبعها على طول حمالة حقيبتها وقد اغلقت عينيها :

- هل سافر مع فتاة ؟

- أية فتاة ؟ أوه ، هل تعنين إذا كان "توني" يخون زوجته ؟

نظرت إليه وهي مغمضة العينين ، وهي تعض على شفتها السفلى.

جعلها تتالم مدة عشر ثوان كان يخمن فيها السبب الذي اثار في ذهنها هذا السؤال . واخيراً أحس بالندم لانه جعلها تنتظر حتى لو كان لديه الحق . كلا ، الواجب ان يبعدها عن صهرها . فخلال بضعة اسابيع ، سيستفيد العالم اجمع بابحاثه .

بالتاكيد كان متاكداً من ان "توني" يكرس نفسه لهذا المشروع لكن لا شيء يضمن له انه لم يكن ليرحل على الفور ليذهب إلى زوجته لو علم بخبر الطفل القادم .

- كلا ، إنه ليس مع فتاة .

رنت تنهيدتها تقريبا ، في كل انحاء الغابة .

- شكراً .

فكت منديل رقبتها وهي مسبلة العينين ، ولفته ثم ربطت به رأسها.

- من الصعب أن اعتقد فيه ذلك ، لكن كان عليَّ أن اتاكد .

جلت صوتها ثم رفعت عينيها إليه :

- أعني ، أن هذا كان سيصبح قاسياً على "سوزان" . إنها حساسة للغاية وسريعة الانفعال .

سالها :

- هل هذا بسبب الطفل ؟

لقد حدث شيء عندما ذكر الطفل . وبالرغم من انها ازدردت لعابها خلسة . كان صوتها مليئاً بالدموع :

- إنها اختي الصغرى ، اتعرف ، إننا لم نكن لنصدق ابداً انها...؟

جلت صوتها واستكملت :

- لم تكن بحاجة لان تتدبر امورها وحدها من قبل . والآن لقد تغير كل شيء . اعرف انه عندما يعود "توني" إلى المنزل ستتصلح كل الأمور.

حك "ريلي" راسه وهو يفكر في طفولته . لقد قاسى تقلبات الدهر في عائلته هو ايضاً . والقى عليها نظرة بفضول شديد :

- كل هذا الوفاء لأختك ... لابد انها إنسانة فريدة الشخصية .

قالت وهي تنظر بشدة إلى يديها :

- جداً ، "سوزان" كان عندها .. مشاكل صحية . ولم نفكر ابداً انها ستصبح حاملاً . إن هذا الطفل معجزة .

استداركي يمنحها الوقت لتهدأ ويمنح نفسه الوقت كي يتوقف عن الإحساس بانه دنيء . لقد كان يعرف انه سيندم على القرار الذي كان قد اتخذه بشان إبعادها عن "توني" . وبهذا التصريح الذي قالته له ، ما كان ليتخيل انه سيكره نفسه لهذه الدرجة .

- هل أنت مستعدة ؟

- انتظر .

مررت يدها خلسة تحت عينيها ثم أعادت خصلة من شعرها تحت عصابتها .

- حسنا ، كيف ابدو ؟

قال في نفسه :

"رقيقة ، مبللة . متسخة ورائعة . هشة وفي أشد الحاجة ان ...

كوعه ، بدأ يشك في نفسه ، أوه كوعي ، بحق السماء !

قال وهو يرافق كلماته بهز كتفيه .

- موافق ، قولي .

عندما استدار وجدها تمرر إصبعها على طول حمالة حقيبتها وقد أغلقت عينيها :

- هل سافر مع فتاة ؟

- أية فتاة ؟ أوه ، هل تعنين إذا كان "توني" يخون زوجته ؟

نظرت إليه وهي مغمضة العينين ، وهي تعض على شفتها السفلى.

جعلها تتألم مدة عشر ثوان كان يخمن فيها السبب الذي أثار في ذهنها هذا السؤال . وأخيراً أحس بالندم لأنه جعلها تنتظر حتى لو كان لديه الحق . كلا ، الواجب أن يبعدها عن صهرها . فخلال بضعة أسابيع ، سيستفيد العالم أجمع بأبحاثه .

بالتأكيد كان متأكداً من أن "توني" يكرس نفسه لهذا المشروع لكن لا شيء يضمن له أنه لم يكن ليرحل على الفور ليذهب إلى زوجته لو علم بخبر الطفل القادم .

- كلا ، إنه ليس مع فتاة .

رنت تنهيدتها تقريبا ، في كل أنحاء الغابة .

- شكراً .

فكت منديل رقبتها وهي مسبلة العينين ، ولفته ثم ربطت به رأسها.

- من الصعب أن أعتقد فيه ذلك ، لكن كان عليَّ أن أتأكد .

جلت صوتها ثم رفعت عينيها إليه :

- أعني ، أن هذا كان سيصبح قاسياً على "سوزان" . إنها حساسة للغاية وسريعة الانفعال .

سألها :

- هل هذا بسبب الطفل ؟

لقد حدث شيء عندما ذكر الطفل . وبالرغم من أنها ازدردت لعابها خلسة . كان صوتها مليئاً بالدموع :

- إنها أختي الصغرى ، أتعرف ، إننا لم نكن لنصدق أبداً أنها...؟

جلت صوتها واستكملت :

- لم تكن بحاجة لأن تتدبر أمورها وحدها من قبل . والآن لقد تغير كل شيء . أعرف أنه عندما يعود "توني" إلى المنزل ستتصلح كل الأمور.

حك "ريلي" رأسه وهو يفكر في طفولته . لقد قاسى تقلبات الدهر في عائلته هو أيضاً . وألقى عليها نظرة بفضول شديد :

- كل هذا الوفاء لأختك ... لابد أنها إنسانة فريدة الشخصية .

قالت وهي تنظر بشدة إلى يديها :

- جداً ، "سوزان" كان عندها .. مشاكل صحية . ولم نفكر أبداً أنها ستصبح حاملاً . إن هذا الطفل معجزة .

استداركي يمنحها الوقت لتهدأ ويمنح نفسه الوقت كي يتوقف عن الإحساس بأنه دنيء . لقد كان يعرف أنه سيندم على القرار الذي كان قد اتخذه بشأن إبعادها عن "توني" . وبهذا التصريح الذي قالته له ، ما كان ليتخيل أنه سيكره نفسه لهذه الدرجة .

- هل أنت مستعدة ؟

- انتظر .

مررت يدها خلسة تحت عينيها ثم أعادت خصلة من شعرها تحت عصابتها .

- حسنا ، كيف أبدو ؟

قال في نفسه :

"رقيقة ، مبللة ، متسخة ورائعة . هشة وفي أشد الحاجة أن ...

احتضنك .

وإذا لم يتحركا الآن . فسيمارس معها الحب على الفور .

- مثل شخص اجتاز مسافة اثنين وعشرين كيلومتراً في غابة استوائية . هيا بنا .

استدار كي يتابع سيره لكن قلبه كان يلف حول نفسه ويصعد لأعلى عندما سمعها تضحك بعصبية .

الله قادر على كل شيء . لماذا لم يخبرها بذلك ؟ بالتأكيد كانت مقتنعة بأنها سترى "توني" هنا بعد دقائق ، حك جبهته ونظر إلى كومة الأوراق الضخمة ، لم يتخيل أبداً أنه سيشعر بالذنب لهذا الحد .

ثم لمست ذراعه :

- هيا يا "ريلي" . إني لم أر صهري منذ شهور . لا أريد أن أخيفه .

قال وهو يمسك بمعصمها ليجعلها تتقدم :

- أنت جميلة هكذا .

بعد لحظات شق لهما طريقاً وسط النباتات المتشابكة بالساطور الذي كان يحمله معه .

أشار عليها وهو يمسك بيدها :

- انتبهي إلى المكان الذي تضعين فيه قدمك .

وقفت في مكانها ووضعت راحة يدها على جذعه :

- "ريلي" ، لا أعرف كيف أشكرك على مرافقتي لنصل إليه . ربما بعد ما ينتهي كل شيء ، يمكننا ...

تلاشى صوتها ، وأمسكت رأسه بين يديها وقبلته في فمه قبلة رنانة .

من فرحتها الغامرة ألقت بنفسها فوق النباتات ، ثم نهضت ثانية وهي تضحك وتنظف ملابسها .

- "توني" ؟ "توني" ؟ أنا "اليزون" أين أنت ؟

ألقت بحقيبتها وأسرعت نحو الكوخ الخشبي الذي كان في وسط فرجة الغابة .

- أين أنت يا "توني" ؟

مرر "ريلي" يده خلف عنقه . عجباً . إنه لا يرى أي حل أسطوري لهذا الاضطراب . الآن إذا سنحت الفرصة وبدأ ثانية بعض تبكيت الضمير .

رد "شيكو" الذي كان قد دخل الكوخ قبلها :

- لا يوجد أحد بالداخل يا سيدتي .

ثم أضاف وهو يشير إلى القرد :

- فقط أنا و"تيت دوبيوش" .

قالت وهي تستدير نحو رفيق رحلتها :

- "ريلي" ، هل سمعت ؟ "توني" ليس موجوداً .

- لقد سمعت .

تقدم وهو يحمل الساطور في إحدى يديه ، والحقيبة التي تركتها في اليد الأخرى .

قال وهو يشير إلى قمة شجرة القابوق :

- هل ألقيت نظرة على الكوخ الذي في الشجرة ؟ ممكن أن يكون نائماً بداخله .

كانت شجرة القابوق أعلى من كل شجر الغابة ، وكان عليها أن تقلب رأسها للخلف وتغلق عينيها قليلاً كي ترى الكوخ من الداخل .

تفحصته - بشدة - لحظات ثم تركته .

قالت وهي متحيرة قليلاً :

- لا أرى أية أكواخ . أين نحن ؟ ما هذا المكان ؟ وأين "توني" ؟

قال وهو يتجه نحو المستودع :

– إن هذه محطة بحث مهجورة اقامتها شركة المانية في وقت من الأوقات .

تساءل "ريلي" : هل هذا المكان سيجدد حيوية ونشاط "توني" ومنه يستطيع أن يراقب مساعديه وهم يعملون ؟

– تبقى كمية كافية من الغذاء وزجاجات المياه . يمكن للمرء أن يبقى شهوراً هنا . وهذا الزورق يبدو في حالة جيدة . لقد ذهلت أكثر وأكثر.

– لقد اعتقدت أننا ذاهبون إلى قرية أو إلى منزل . إنك لم تخبرني أن المكان بدائي بهذا الشكل .

– فلنقل : إنه يلزم وقت طويل كي يقدموا فيه البيتزا .

لم تضحك ولم تكن هذه ملاحظة جيدة .

قال وهو يفرك يديه :

– حسنا ، لنبدأ من البداية ، نرتب متاعنا قبل أن يختفي الضوء .

تبعته بخطوات سريعة وقد دلت نبرة صوتها على الشك :

– "ريلي" ، أين "توني" ؟ لماذا لا يوجد هنا ؟

– لا أعرف .

لكنه كان يعرف . إنه يتصور عالمه النباتي العظيم والأب المستقبلي وهو محاط بالبروماليات . يعمل وحده على حدود الغابة في أعلى مكان .

– كيف هذا . ألا تعرف ؟

أمسكته من كتفه عندما لم يرد ومالت كي تنظر مباشرة في عينيه . وارتعشت يداها من تأثير العاطفة التي كبحتها بصعوبة .

– لقد قلت : إنك ستأخذني إليه .

– "آلي" . إننا لسنا في دار ملاه . لا أستطيع أن أقول لك : إذا كان يقوم بجولة في الجبال الروسية أو أنه في متاهة . لكنه سيأتي.

استدار ليفتش عن الخزائن والبراميل المرصوصة بجوار الحائط . مد يده لها بسرير معسكر أخرجه من وسط الكومة .

– أمسكي . احمليه واصعدي تدرجات الشجرة . أقسم لك أن هناك كوخاً بأعلى . مساحته عشرة أمتار مربعة وسط السماء .

بدأ في تفتيش الخزائن وهو يتمتم :

– والآن هذه المصابيح . تباً ! أين هي ؟

استدار إليها عندما أحدثت ارتطاماً بالمنضدة . وعندما أدركت أنهما يتابعانها بنظراتهما ، حل الاضطراب محل غضبها .

قالت وهي تسبل عينيها :

– "ريلي" . إنك لم تقل لي أبداً عن احتمال أن يكون متغيباً ، لقد كذبت عليّ . بالله عليك ، أين هو ، وماذا يفعل ؟

– لقد قلت لك من قبل : لست أنا من يجيب على هذه الأسئلة لكنه هو، لابد أن له أسبابه .

– كم من الوقت علينا أن ننتظره ؟

– لحظة .

وضعت يديها على ردفيها ورفعت ذقنها :

– وماذا تعني "لحظة" في هذا الجزء من العالم ؟

– أتخيل أن تكون مثلما نستخدمها . من يدري ؟

غضبت بشدة . دقت فوق المنضدة التي أسرع "شيكو" بالاختباء أسفلها .

صاحت :

– لقد أخطأت ولن أبقى دقيقة بعد الآن في هذه الغابة العذراء الشيطانية . أريد أن أرحل من هنا الآن .

وقف أمامها واضعا يديه على ردفيه ، محاولاً حثها على أن تخفض عينيها لكنه تذكر كم هي بارعة في هذه اللعبة . أفضل شيء يفعله هو

أن يغير الموضوع .

قال وهو يلمس ملابسها :

- لا يمكنني أن افهم لماذا تريدين الرحيل على قدميك حتى "بوكالي" في ملابس متسخة بالعرق ومبللة من المطر . هل فكرة ارتداء قميص النوم الدانتيل القصير الأبيض والتمدد تحت الناموسية لا تبدو مغرية لك ؟

رفع يديه ولف راحتيه تجاه السماء مع هز كتفيه .

- بالنسبة لي فإنها مغرية جداً .

أمسكت بسرير المعسكر واستندت إلى المنضدة ثم وضعته له على ذراعيه .

- لقد سمحت لنفسك أن تتدخل في شؤوني الشخصية دون إذن مني . إنك لا تحتمل . لابد انني مجنونة كي اتخيل انك اهل لثقتي و...

- متاسف . كنت أخشى أن احملك الكثير . لقد احضرت باروكتك وحذاءك الأحمر الجلدي وبذلك الشيء الذي اسفله . وكل... قاطعته متذمرة بصوت هز أرجاء المكان :

- لكن من تظن نفسك ؟

استدارت لحظة قصيرة استفاد منها "شيكو" واسرع بالاختباء وراء "ريلي" :

- هل سترمي شيئاً ؟

رد على "شيكو" وهو يعيد إليها السرير :

- بالتاكيد لا . لكن من الافضل لها أن تنام على الأرض .

الآن اقترح عليك أن تفعلي ما يجب عليك فعله او تبقي جالسة هنا في الظلام . بدون سرير ولا طعام ولا ناموسية .

ثم أكمل وهو يدفع بـ"شيكو" للأمام :

- ابقي وحدك . كل هذا الوقت ... اما نحن فذاهبان لنستريح فوق

القبة لان هياجك العصبي بدأ يثير شفقتنا . نظرت إليه طويلاً ثم امسكت بالسرير واتجهت نحو درجات الشجرة .

- قهوة ؟

لقد حثتها الرائحة على الحركة . كانت متعبة للغاية من سيرها الطويل . ينتابها الم في حلقها من كثرة الصياح ؛ لذا ارادت أن تنعم بساعات نعاس أكثر .

فتحت عيناً واحدة فرات "شيكو" يقرب قدحاً من القهوة إلى انفها :

- انصرف .

قال دون أن يلتفت إلى طلبها :

- كنت احسبك لن تستيقظي أبداً .

سالها "شيكو" وهو يجلس بجوارها على السرير الضيق :

- هل استيقظت الآن ؟ هل يعجبك النظام يا سيدتي ؟

وقف عصفوران يزقزقان على الدرابزين ويرفرفان باجنحتهما وحكت "اليزون" عينها :

- من علمك هذه الكلمات ؟

- "ريلي" . لقد قال : إن هذا النظام لن يعجبك .

شربت جرعة من القهوة وقطبت وجهها :

- مذاقها جيد . اليس كذلك ؟ لقد وضعت فيها أربع ملاعق من السكر .

قالت وهي ترد له القدح :

- شكراً .

وضعت قدميها على الأرض . على الناحية الأخرى من السرير ثم دفعت بالناموسية ونظرت حولها :

- اين هو ؟

قال "شيكو" حاملاً سلة فاكهة على ذراعيه :

- "ريلي" بالقرب من النهر ، على وشك أن ... لقد نسيت الكلمة .

- كلي . قال "ريلي" : إننا سنذهب للسباحة بعدما تأكلين .

تمتمت وهي تحك عينيها :

- هل عاد إلى "ريو ڤيرد" ؟

ثم فتحت عينيها وفهمت . نهضت على الفور وتوجهت نحو الدرجات :

- هل تركنا ؟

- كلا يا سيدتي ، لقد ذهب إلى النهر .

أشار لها إلى وسط الغابة وهو يعيدها بالقرب من السرير . ثم قال وهو يشير بسبابته إلى هوة وسط النباتات :

- هناك بأسفل . هل أنت بخير يا سيدتي ؟ هل تعلمين كيف تقومين بحمامك؟

- نعم ، لقد قدمت لي إرشاداتك الممتازة مساء أمس .

قال وهو يعاود الجلوس بجانبها :

- نعم ، لكنك لم تعطيني إكرامية حتى الآن . هل ستعاودين الصراخ اليوم؟

- لا أعتقد .

ظهرت ابتسامة صغيرة فوق شفتي الصبي .

قالت وهي تقبله على جبهته :

- أعتقد أن عليَّ أن أعتذر . سأبدأ بك .

تفرس فيها وأدار حدقتيه . ثم قال وهو يقف ويرفع شورته :

- لا تفعلي هذا يا سيدتي . كلي بسرعة .

ثم ابتعد ، نزل الدرجات وسار فترة ثم انسل داخل النباتات ليصل للهوة .

صبت لنفسها قدحاً آخر من القهوة وجلست لتستمتع بالعالم الذي

يصحو من حولها . "وحدها" ، صححت الفكرة عندما رأت "تيت دوبيوش" ظهر على السرير ، "تقريباً وحدها" تفرست فيه بقلق . وضعت يدها فوق عظام صدرها ، وألقت له بثمرة تين أخذتها من السلة ثم ابتعدت . إن لديها ما يشغل فكرها أفضل من هذا القرد الهائج .

في خلال دقائق ، ستذهب إلى النهر وتتذلل لـ "ريلي" برغم غضب ليلة أمس ، حتى لو كان "ريلي" يستحقه ، فإنها ستطلب منه السماح . يلزمها بعض الأعذار لأنها تمادت في الغضب ، ولأن هذا هو الشيء الوحيد المتاح لها القيام به . تأملت قدحها الفارغ. ولأنه لن يكشف لها أية معلومات عن "توني" . إن لم تفعل .

على بعد عشرين دقيقة من الشاطئ لمحت "ريلي" والصبي . كان "ريلي" يعلم الصبي العوم وقد وصل الماء إلى وسطه . وقد تعالت ضحكاته المتلألئة واختلطت بالأصوات الأخرى التي انتشرت في الغابة . اعتقدت أن بإمكانها حبس ابتسامتها لكنها ارتسمت بالفعل فوق شفتيها . لقد عاد "طرزان" . تلك الرعشات التي انتابتها لم تخدعها .

أحدثت رؤية شعره غير المربوط والمنسدل على كتفيه تأثيراً مدمراً عليها . لماذا يبدو رائعاً هكذا لدرجة تجعلها تلهث ؟

كانت أشعة الشمس المنعكسة على سطح الماء تحيطه بهالة من الضوء الذهبي . تنهدت طويلاً وقالت لنفسها :

"إنها لم تقطع كل هذه المسافة كي يشرد فكرها في "خيال طرزان" حتى لو كان هذا الخيال يأخذ شكلاً عاقلاً" .

- صباح الخير .

ردت بإشارة من يدها ؛ لأنها تعلم أن صوتها لا يمكن الاعتماد عليه الآن . رد بإشارة من يده هو أيضاً عندما تبدلت ملامح وجهه . بدأ يغوص بعمق في الماء ثم اختفى عن السطح . مرت ثوان عديدة

فاقتربت من الماء . إذا كان "ريلي" يجد هذا شيئاً مضحكاً، فهي لا تجده كذلك .

- "شيكو" ؟

خلعت حذاءها .

- ماذا يفعل ؟ هل تراه ؟

لم يرد الصبي واستمر في النظر إلى المكان الذي اختفى فيه "ريلي" بشدة . اعتصر الخوف والقلق قلبها ، هذا مستحيل لا يمكن ان يكون قد غرق .

- "ريلي" ؟ "ريلي" ؟

كانت قد نزلت إلى الماء حتى فخذيها عندما ظهر فجاة على السطح .

- أووو !

صيحة "طرزان" هذه اصدرت صدى داخلها مثل صفارة السفينة القوية . لقد استراحت كثيراً ولن توبخه .

ظلت دون حركة واتجه هو ناحيتها .

قال "شيكو" ضاحكاً :

- مزحة جيدة يا سيدتي ، اليس كذلك ؟ لقد خوفناك . المزحة الحقيقية هي تحاشي نظرة "ريلي" .

اعترفت وهي تخفض عينيها وترفع طرفي "شورتها" لاعلى :

- لقد افزعتماني حقاً .

مرر "ريلي" يديه على وجهه ليمسح الماء عن عينيه واستمر في التقدم . إنه لم ير فخذين بهذه الرشاقة والجاذبية والنعومة من قبل. وإذا لم تتوقف عن لمسهما فلن يضمن ماذا سيحدث .

- إنها شجاعة جداً يا "شيكو" .

- كلا يا "ريلي" . ليست شجاعة إنها فتاة .

قال وهو يرى عينيها تتسعان في كل خطوة يتقدمها :

- بالتاكيد شجاعة . لقد أسرعت إلى النهر دون ان تسال اي سؤال .

- لا شيء يخيف في هذا الماء ، اليس كذلك ؟

انكمشت وبدات تترنح . ارادت ان تتشبث به لكنّ يديها انزلقتا على طول جذعه .

سالها :

- ماعداك ، هه ؟

احست باضطرام الماء من حولها . كيف اضرمت النار في عروقه وهي تصارع لتبقي راسها خارج الماء ؟

استعادت توازنها وتراجعت بحذر .

قالت وهي تتامل ملابسها المبللة :

- هلا توقفتما عن المزاح معا .

إن ما اثارته بداخله ليس مزاحاً .

استسلم "ريلي" بهدوء وهو يغوص في الماء كي يخفي ارتباكه :

- لقد توقفنا .

كانت منشغلة تماماً بحالة ملابسها لدرجة انه كان متاكداً انها لم تر الحالة التي كان فيها .

بدات تتجه لداخل النهر لكنها توقفت عن الحركة عندما رات ورقة شجر تطفو على سطح الماء وتتجه ناحيتها .

دققت النظر إليها طويلاً ثم رفعت عينيها إلى الشجرة التي اسقطتها قبل أن تستدير ناحية "ريلي" .

- لقد كنت اتخيله هكذا .

سالها وهو ينظر إلى ملامحها التي تلطفت :

- تتخيلين ماذا ؟

- "طرزان" والادغال . الخفة ، الضحك والبساطة .

دفعت خصلة من شعرها للخلف وتاملته :

- تخيل ، بلا اي مسؤولية . ولا هم . فقط متعة الجنة واستغلال كل الوقت في الحصول على هذه المتعة . كان هذا يبدو لنا مستحيلاً ... عندما كنا اطفالاً .

رفعت ذراعيها ثم دارت حول نفسها :

- أوه ، لقد حلمت به كثيراً .

نظرتها الحانية مرت من "شيكو" إلى "ريلي" .

- لقد بدات أصدق ...

ثم هزت رأسها واستدارت لتبتعد .

لقد دهش من نظرتها هذه مرة او مرتين من قبل ، لكن هذه المرة، الوضع مختلف . لقد وضعت لها اسماً . هكذا فإن الآنسة "اليزون ريتشارد" نائبة مدير البنك ، ذات القوام المشوق والتايبيرات الكتانية القصيرة ، تشعر بضعف تجاه "طرزان" . لقد اشتد تخيلها .

قال وهو يتجه ناحية الشاطئ :

- انتظري .

وقف بينها وبين حافة النهر . اراد أن يلقي نظرة أخرى على عينيها الزرقاوين . أن يسمع صوتها مرة أخرى ، وأن يلمسها . امسك بيدها وجعلها تلف حول نفسها ببطء .

- ماذا لو تأتين لتسبحي معنا ؟

ضحكت ضحكة ضيق صغيرة دوختة . لقد كانت ضحكة هادئة ، ضحكة ليست إلا من اجله . لقد اقسم على ذلك . صوت عذب كان يمكن ان يوصف بانه همس في موقف آخر ، او ربما تاوه .

- لم آتِ هنا للسباحة ، لقد اتيت لكي اعتذر عن غضبي ليلة امس .

ابعدت قميصها المبتل الذي التصق ببشرتها :

- حتى لو كنت متعبة ومحبطة ، فلن اتصرف بهذا الشكل .

رفعت رأسها وأدنته من رأسه ثم تمتمت :

- انا اسفة .

ودون أن يدري قربها منه اكثر :

- هل ستقبلينه أيضاً ، يا سيدتي ؟

تراجعت على الفور :

قالت وهي تنبه "شيكو" :

- لقد توقفنا عن المزاح .

ودون أن تنظر في عيني "ريلي" ؛ ابتعدت خافضة رأسها :

- من الأفضل أن أذهب لأغير ملابسي وأجففها .

عليه أن يتخلى عن عادة التساهل معها . موافقة ، لن يتكلم مرة أخرى عن تلك القبلة المثيرة ولن يسخر من بلاهاتها في موضوع "طرزان" لكنها تحس وكأنه يدخر لها شيئاً . إنها ستراهن على تذكرة طيرانها إلى "كوستاريكا" . إن "ريلي أندرسون" يخفي لها شيئاً .

أبدى دهشته وهما جالسان للغداء بينما اصطدمت ركبتاهما أسفل المنضدة ووجه لها ابتسامة غريبة . بعد الغداء ، بينما كان يتظاهر بالاسترخاء في السرير المعلق ، أحست بأنه يكرر الأشياء في رأسه مراراً وتكراراً .

بعد فترة بينما كان يلعب هو و"شيكو" و"تيت دوبيوش" على الأرض، نظر إليها بطريقة جعلتها تمحو كل شكوكها . طريقته في تفرسها ذكرتها بالموقف الذي حدث على الشاطئ . لقد أجبرت أخيراً على أن تدير عينيها للجهة الأخرى . ربما حان الوقت لتهدئ اللعب في رأسها. توجد قصة ما خلف ابتسامته المرحة وملابسه القديمة تمنت لو اكتشفتها .

عندما ذهب "ريلي" و"شيكو" للعب بالكرة ، استفادت من غيابهما وذهبت لترى إذا كانت ملابسها قد جفت أم لا ، كانت قد نشرتها فوق الأوتاد التي كانت تسند المبنى .

شورتها وقميصها كانا هناك ، لكن ملابسها الداخلية كانت قد اختفت.

قالت لنفسها وهي تنظر حولها : "ليس هناك ما يبعث على الضيق" فتشت في المكان لكنها لم تجد لها اي اثر . تساءلت وهي تنهض : ماذا يمكن أن يكون حدث لها ؟ من استطاع ..؟ هذا السؤال الأخير جعلها تنتفض وقالت لنفسها : "شيء جميل جداً" لأنها لم تراهن على تذكرة سفرها لـ"كوستاريكا" هباء .

اتجهت إلى المكان الذي يلعبان فيه ثم وقفت أمام "ريلي" ومنعته من تمرير الكرة .

- إن هذا حقاً شيء طفولي جداً بالنسبة لك يا "ريلي" .

رفع الكرة في الهواء ، وجعلها تقفز من جديد على ركبته ثم التقطها.

- ألم تعرفي أن لاعبي "أوروجواي" أنفسهم هم الذين يقومون بهذه الحركات؟

- انت تعرف جيداً ما اعنيه .

مدت ذراعها وحركت يدها بطريقة تحذير :

- من الأفضل لك أن تعطيني ...

سأل وهو يتخطاها ليمرر الكرة إلى "شيكو" :

- هل تعتقدين اني ساهزم بسهولة من هذه الكرة . إنها كرة قدم يا عزيزتي .

- إني اتكلم عن سرقة ملابس داخلية وردية . انا مُصرة على استعادتها .

تاملها مهملاً الكرة التي مرت مثل السهم فوق رأسه :

- عجباً ، لكن عم تتكلمين ؟

- تريد إجباري على تكرارها . أليس كذلك ؟

عقدت ذراعيها وهي تهز رأسها ونظرت إليه بشدة :

- ملابسي الداخلية .

دبت الأرض بقدمها :

- لا تبق هكذا ، قل شيئاً .

حك فمه وقطب حاجبيه وهو يفكر ملياً :

- وردية ؟

- وردية .

- وردية كيف ؟

- النوع الوردي الخالص المقلم بخفة بالأبيض على ....

عندما أدركت أنه يسخر منها أحست بالشتائم تملأ صدرها .

وفي وسط جملتها ، أطلقت صرخة ، هذا الرجل يريد موتها لكنه سيموت معها .

- هيه ، يا سيدتي . لقد قلت : إنك لن تصرخي اليوم .

الفصل الخامس

- ولماذا آخذ ملابسك الداخلية ؟

- لا أعرف ولا اريد ان اعرف ، اريد فقط استعادتها ، هذا كل شيء .

- حسنا ، حسنا ، سنعثر عليها .

استدار "ريلي" ناحية الصبي .

- هل تعرف أين هي ؟

رد وهو يهز راسه بشدة :

- كلا يا "ريلي" .

احاطته "اليزون" بذراعها ومسحت على راسه :

- اعرف جيداً انه ليس انت من فعل هذا يا "شيكو" .

تنهد "شيكو" مستسلماً :

- شكراً يا سيدتي ، لكن لا تقبليني .

قالت وهي تركز عينيها على "ريلي" :

- اما عنك ، فهذا شيء قيد الإثبات .

واتجهت بكبرياء نحو درجات الشجرة .

اعلن لها "ريلي" :

- على اية حال لست مضطرة لارتداء ملابس داخلية .

استدارت ثم قالت ساخرة وهي تسد اذني "شيكو" :

- من تظن نفسك ؟ وماذا ستفعل باخلاق هذا الطفل ؟

جذب "شيكو" يديها :

- هيه ، لا تفعلي هذا يا سيدتي ، انا لا ارتدي ملابس داخلية ، ولا "ريلي" ايضاً .

هز كتفيه وبرطم :

- لا أحد يرتدي تلك الأشياء ، فقط "لوس جرينجوس" .

هز "ريلي" حاجبيه :

- إن الصبي محق . لقد ترددت في أن اقول لك لأن هذا ربما يضايقك. إنها مسألة حس عملي ، يا "الي" . اتعرفين أنك لو استمررت في ارتداء ملابس داخلية ، هناك احتمال خمسين بالمائة أن تصابي بتهيجات في هذه الأماكن بسبب الرطوبة الواضحة ؟ لذا يجب أن تتركي أكبر كمية من الهواء تدور حول ...

قالت وهي ترفع يديها :

- حسناً ، حسناً . لقد فهمت .

- لقد أخرجت باروكتك وبعض الأشياء غير اللازمة من حقيبتك ووضعت مكانها بعض الإسعافات الأولية . ستجدين ضمادات وأربطة مضادة للفطريات هناك بجانب ...

مدت يدها بسرعة وقاطعته :

- أريد ملابسي الداخلية !

تراجع وانحنى بطريقة لطيفة :

- فلتقودينا إلى مكان الجريمة .

اعلن "شيكو" وهو يتجه نحو الأدغال :

- لن أذهب إلى هناك ، عليَّ أن أجد الكرة .

اعتدل "ريلي" وتظاهر بانه يضبط رابطة عنق خيالية :

- فلنبدأ من البداية . اين تركتها ؟

- انت تعرف جيداً أنها كانت هناك وراء المستودع .

- اقسم لك اني لم أكن لأعرف .

- إذا أصررت على الكذب ...

رأته يقطب جبهته دهشة . هل من الممكن انه لا يعلم مكانها ؟ هذا محتمل .

لفت حول المستودع وأشارت بسبابتها على الجدران الخشبية .

- لقد فتشت في الداخل ، فتشت تحت الأوتاد ، وفتشت حتى في النباتات . لقد اختفت يا "ريلي" وهذا لا يروقني .

تقدم وبدأ ينخفض لكن "اليزون" أجبرته على الوقوف مرة أخرى قبل أن تلمس ركبتاه سجادة الأوراق .

قالت وهي تمسكه من "تي شيرته" :

- إن عندي منها ما يكفي .

مالت لتكلمه :

- لم أعد راغبة في أن تتسلى على حسابي .

كرمشت "تي شيرته" بجنون واقتربت منه .

- إني امنعك من لمس متعلقاتي .

استمرت في عصر الـ"تي شيرت" بقوة وهي تؤكد كل جزء في كلامها وتضربه ضربات خفيفة فوق صدره .

- وأنا لا أريد ...

قال بإصرار وهو يحتضنها :

- أوه ! هكذا ، إنك تريدينه . وأنا أيضاً أريده .

وعلى حين غرة قرب وجهه من وجهها :

- إني أريدك يا "اليزون" . هل تفهمينني ؟ كل هذه الشرارة التي في عينيك ليست غضباً . إنها عاطفة ، قبلتها أم لا . عاطفة جريئة وصاخبة متجهة إليَّ . وتصدر صداها في كياني .

جذبها برقة .

- كل منا يرغب في الآخر .

ظلت لاوية فمها .

وقبل أن تنتفض فاجأها بقبلة طويلة وعنيفة ثم سمعته يتمتم باسمها . لقد استسلمت لمتعة أحضانه وقبلاته . علت ضحكات "شيكو" من على البعد . وعندما سمعاه يسرع الخطى ويعبر المستودع . تراجع "ريلي" كرهاً .

استمر في مراقبتها بشدة بينما كانت ضحكات وخطوات الطفل تقترب .

رتبت خصلات شعرها بعصبية واجتهدت كي تبعد عينيها عن عينيه لكن التأثير الذي كان يمارسه عليها "ريلي" كان لا يقاوم . إنه "يلزمه" النظر إليها .

- لماذا تنظر إليَّ هكذا ؟

سألها :

- ما رأيك أنت ؟

همس إليها قبل أن يلمح "شيكو" داخل المبنى :

- أعدك به ، قريباً .

- "ريلي" ! انظر ! انظر .

كان "شيكو" الذي يمسك بالكرة ، يشير له إلى الشجرة خلف الكوخ . كانت قد استعادت تنفسها الطبيعي عندما أشار لها "ريلي" إلى

ملابسها الداخلية . على غصن شجرة تدلت نصف ملابسها الداخلية وعلى نفس الغصن ، تعلق "تيت دوبيوش" وقد أمسك بالنصف الآخر ، ثم هاج وبدأ يطلق صرخاته الحادة ويظهر لهم أسنانه تعبيراً عن إنكاره .

قالت "اليزون" قبل أن تنصرف وهي تقهقه لدرجة انها هوت على الأرض :

– لم يكن انت يا "ريلي" . إنك لم تاخذها .

انفجر ثلاثتهم في الضحك وهم يرون "تيت دوبيوش" وهو يحاول ارتداء ملابسها الداخلية . عندما استطاعت "اليزون" ان تعتمد على صوتها ، نظرت إلى "ريلي" ثم إلى القرد :

– لقد كنت محقاً عندما قلت : إنه ليس من الحذر ترك المتعلقات الشخصية مبعثرة .

رد "ريلي" بعد ضحكه الهيستيري :

– في المرة القادمة ثبتي ملابسك المبللة فوق الدرابزين بمسامير.

مسحت عينيها واستمرت في مراقبة القرد :

– حسناً ، أعتقد انه ينبغي عليّ أن اعتذر لك من جديد .

قال وهو يساعد "شيكو" على التسلق إلى كتفيه :

– ليس هذا ضرورياً .

أمسك عقبي الصبي وابتعد .

– ساقول : إن كل شيء عاد إلى نظامه .

بعد ثوان ظهر مرة أخرى .

وأضاف قبل أن يتوارى وهو يبتسم بلا مبالاة :

– حتى حد معين .

ردت له الابتسامة ثم هزت رأسها بارتباك .

في اللحظة التي اعتقدت فيها أنها طردته من فكرها ؛ ياتي ويفعل

بها هذا ؛ مدت شفتيها وحاولت ان تتذكر قبلته لها التي اشعلت في جسدها لهيب الرغبة .

ياله من عاشق غريب .! لكن هذا لم يكن إلاّ خيالاً لأنها لن تستسلم له أبداً .

نهضت وحاولت ان تنظم افكارها وتنصت لصوت العقل .

ماذا لو كان الإغراء الذي أحست به حقيقياً ؟

وهي تضبط ياقة قميصها بدات تلف – مثل دب في قفص – أشياء. لكن بحق السماء ماذا ستفعل بهذه الأشياء أو الأسوأ ، عندما تتذكرها في حياتها الواقعية ؟ أشياء ؟ إنها لم تعرف حتى ماذا تسمي ما فعله. ارتعشت وهي تتذكر : كيف كان مضموماً إليها بجراة جعلتها تلهث؟

دقت الأرض بقدمها ثم استدارت واستندت إلى الحائط . تباً ! باي جنون كان يحتضنها ، لقد كانت راضية بحياتها الهادئة قبل أن تقابله. أليس حقيقياً ؟ على أية حال كانت تبدو عاقلة ومسؤولة. ذكية وحساسة ثم إنه هناك في حياتها ، طفل "سوزان" عملها ، بعض الإجازات من حين لآخر ، والكثير من الرجال الذين ليس لديهم ذيل حصان يلاحقونها بوعودهم ومشروعاتهم باستمرار .

رفرف ببغاء بجناحيه بشدة واطلق صرخات خشنة فاخرجها من أفكارها وأعادها إلى الجنة . سمعت "ريلي" ، على البعد ، يحاول أن يقلد صوت طائر .

ربما خمن "ريلي أندرسون" أنها ترغبه لكن هذا لا يعني أنها ستتركه يفعل شيئاً . أسلوب حياته – كغير مسؤول ، قليل الطموح وغير مهتم – لا يتفق أبداً مع أسلوب حياتها . حتى ولو ظلت تحلم به مدة ستة وثمانين عاماً . إنها تعرف القليل عن "ريلي" ... لكن هذا كان كثيراً بالفعل .

استدارت ووجدت الشريكين جالسين على درجات مدخل المستودع . وراساهما مائلان كأنهما مختفيان . فقط الطين الذي كان يغطي اقدامهما و ركبهما وسواعدهما كان دليلاً على لعبهما الكرة .

علا صوت طائر جديد فوق الأشجار .

هز "ريلي" راسه .

قال وهو يضع اصابعه فوق شفتيه :

– ساحاول تقليد صوته .

بعدما اخفق في محاولتين ، كف عن الصفير ، بعد لحظات بدأ الطائر في الزقزقة مرة اخرى .

راقبت "اليزون" "شيكو" الذي بدأ يقلد الطائر بدوره بعد أن علمه "ريلي" كيف يضع اصابعه في فمه .

– انظر إلى السبابة . ها هو . هكذا .

عندما تمكن "شيكو" في النهاية من إخراج تصفيرة وإن كانت حادة . صفق له كلاهما معا .

سالها "شيكو" :

– هيه يا سيدتي ، ما رايك ؟

ردت عليه بابتسامة . هذان الاثنان هناك يشبهان الأب وابنه . لكن تعبير "توءم الروح" يناسبهما اكثر . عندما لاحظ "ريلي" ان ما يفعله هو والصبي يبهجها . ربت بيده المساحة الشاغرة بجانبه.

– تعالي . مدرسة الأستاذ "ريلي اندرسون" لتقليد صرخات الطيور تطلب تلاميذ جددا .

اضاف الطفل :

– نعم و "ريلي" مدرس ممتاز .

نعم ، واضح تماماً أنها تعرف ان هذا الجسد الرائع لـ"ريلي اندرسون" يخلو تماماً من اي ذرة شر ، إنه رجل جيد . اغلقت عينيها

لحظة وادركت ان قدمها زلت واعترفت بمزاياه .

إن ما عرفته عنه من قبل كان يكفي لإرباكها بالفعل ، جلت صوتها واعلنت :

– كلا ، شكراً . سأذهب إلى النهر .

رد "ريلي" وهو يترك مكانه :

– سنرافقك .

اخذ "تيت دوبيوش" مكان سيده وتذمر من رحيله مطلقاً صرخات حادة . مال "ريلي" وجرى القرد على طول ذراعه حتى وصل إلى كتفه .

اخرجت اصوات الحيوانات المتوحشة – التي انسجمت مع بعضها البعض – "اليزون" من غفلتها . في اي يوم كانت ؟ إنه الأربعاء ، استرجعت في عقلها ما كانت تفعله في يوم الأربعاء . كانت تذهب لمصفف شعرها . بمناسبة الحديث عن شعرها ، اخرجت بعض المشابك من شعرها واعادت ترتيب تسريحته . نظرت إلى النهر وتذكرت رحلتها القادمة لـ"كوستاريكا" ، حيث محطة الحمامات اربعة النجوم .

وضرورة رحيلها ، إلى اي مكان بعيداً عن هنا ، بعيداً عن لحظات الجنون هذه . وبالرغم من ذلك ، كانت تعشق هذه اللحظات بكل قلبها وروحها وجسدها .

– حسناً يا اولاد ، أريد الاختلاء بنفسي بعض الوقت .

وقت كي ترتب افكارها ، وقت تفكر فيه كيف سيمكنها الهروب من هذا الارتباط الحساس والشديد بـ"ريلي" .

في دوامة الروائح والأصوات الغريبة هذه القت بنفسها في أمواج النهر بكل نشوة . ارادت ان تلحق بـ"ريلي" في مفترق الطرق لكنها توقفت عندما بدأ المطر يتساقط بشدة . لقد علقت في الفخ . علقت في فخ هذه الجنة . وعليها ان تخرج منها على الفور قبل أن تلتهم حية .

في صباح اليوم التالي ، كان "شيكو" يحاول إعادة الملابس الداخلية بينما كانت "اليزون" و"ريلي" يراقبان العملية من الكوخ . هناك ، فوق حيث كان النسيم العليل يهفهف عليهما برغم الشمس التي ملات الغرفة . اثناء الليلة الأولى كانت متعبة جداً من فكرة أن ينام "ريلي" قريباً منها ، لكن الليلة التالية ، لم تستطع إبعاده عن فكرها ولا روحها ولا عينيها .

لقد قررت انها عندما تعود لـ"بوكالي" ، ستقترح على "ريلي" أن تدفع له ضعف التعريفة المعتادة في مقابل ان يذهب لإيجاد "توني" وحده ، بينما ستنتظرهما في "بوكالي" .

صاح "ريلي" خلال الفروع :

- هيا يا ولد . إلى اليسار ، نعم هكذا .

ارتعشت "اليزون" عندما رات الولد يتقدم بقدميه العاريتين فوق الفرع وحبست صرخة داخلها عندما راته ينزلق . قالت :

- لو كان هذا ابني ...

استدار "ريلي" ناحيتها :

- لماذا ليس عندك ابن ؟

- هذا ... فحش .

ثم تلعثمت :

- مازال امامي الوقت . إن عمري سبعة وعشرون عاماً . كرر وهو يقطب حاجبيه :

- سبعة وعشرون ؟

- نعم ، سبعة وعشرون ، هل استطيع أن اسالك نفس السؤال ؟ لكني اعرف الإجابة مسبقاً .

حك "ريلي" ذقنه الحليق :

- تعتقدين انك تعرفين الإجابة . فما هي ؟

- من فضلك لا تسئ فهمي . إنك تعامل "شيكو" بمنتهى اللطف لكنك لا تبدو من ذلك النوع من الرجال المتعلقين بمنازلهم .

تعالت الضحكات الصامتة في صدر "ريلي" :

- إن هذا الطف ما قلته لي يا "الي" .

دققت النظر في ابتسامته الساحرة لكنها قررت الا تتمادى . مع أن لديها اسئلة اخرى تحتاج إلى إجابة .

- "ريلي" ، هل "بوكالي" حقاً مدينة خطرة ؟

- خطرة بالدرجة التي تمنعني من ترك "شيكو" فيها مع والده .

- هيه يا سيدتي انظري . لقد جئت بها .

هناه "ريلي" بإشارة من يده وراقبه وهو يهبط الشجرة :

- انظري إلى هذا الطفل يا "الي" . ساكون مضطراً لعزله عن الناس كي لا يحدث له شيء في هذه المدينة .

- إنه مازال صغيراً . من سيرغب ان يلحق به اذى ؟

- لقد كبرت "بوكالي" في يوم وليلة . يتسكع فيها السوقة الأشرار ذوو السلطان . واناس جشعون .

سالها وهو ينظر إليها :

- لكن لماذا كل هذه الأسئلة عن "بوكالي" ؟

- إن هذه المرحلة الأولى لم تسر كما كنت اتمنى . و.... عندما نكون في "بوكالي" فإني انوي انتظار "توني" هناك .

- عندما نكون هناك ؟

هزت راسها ضيقاً بشدة وهي تحس بنظرته :

- سادفع لك الاجر مضاعفاً كي تجد "توني" وتحضره هنا .

- لكنك لن تذهبي إلى "بوكالي" .

قالت وهي تضحك :

- ماذا ؟ بالتاكيد ساذهب . إنك لا تتخيل ان ابقى هنا وحدي في

انتظارك بينما تاخذ "شيكو" لرؤية والده . اليس كذلك ؟

– فلنناقش الأمر منذ البداية . لماذا اتيت إلى "سان رافاييل" ؟

– لكي أعثر على زوج أختي ، لكن ...

– حسناً . إذا رحلت الآن يمكنك ان تودعيه . فلابد انه سيصل بين لحظة واخرى وإذا لم يجد أحداً هنا ، فسيواصل طريقه .

وإذا أخذتك معي إلى "بوكالي" ، فستذيعين خبر أن "توني" ، عالم النبات الفذ ، على حافات النهر .

– ساترك له رسالة .

– لن ينفع هذا . كي يجدها "توني" لابد أن تكون في مكان واضح . إنها ملابسك الداخلية ، إن لم يسرقها "تيت دوبيوش" ، فسيسرقها احد زملائه المتطفلين .

سمعا القرد يصرخ متظاهراً كما لو كان يرد عليه .

– لكنك لا تفكر – رغم ذلك – في انني سابقى هنا وحدي . اليس كذلك؟

هز كتفيه :

– لن نتمكن من مقابلته إذا رحلنا نحن الاثنان . إنها فرصتك الأخيرة يا "اليزون" .

إنها لم تتخيل ابداً ، ابداً انها ستواجه مثل هذه المعضلة .

– لابد من طريقة لإصلاح هذا الامر .

ربت كتفيها ونظر مباشرة في عينيها ثم اهدى لها ابتسامة مهدئة.

– ربما كان هذا مسلياً أكثر من دراسة قرض بنكي لشخص ما.

عقدت ذراعيها حول صدرها بشدة ، وأحست انها خائفة ، لكنه كان يعرف انها لا تخشى شيئاً . فلا توجد نمور ولا افاع سامة وإذا التزمت بالنوم تحت الناموسية وعدم ارتداء ملابس داخلية . فلن يفسد هذا الجسم الرائع اي شيء .

سالها بظرف :

– لابد أنك تدينين بهذا لأختك . أليس كذلك ؟

سالته وهي تضرب بيدها على صدرها :

– ماذا تعرف عن هذا ؟

– إيه ، اعذريني يا آنسة "ريتشارد" . لكنك وأنت تعاملينني كمتطفل، احاول أن افهم مشكلتك .

أمسك بحقيبة ظهره ووضعها على المنضدة ثم فتح جيبها :

– ما مشكلتك إذن ؟

قالت :

– تباً ! إني خائفة .

– هل خائفة من أن اتركك هنا وحدك ؟ أم خائفة الا اعود ؟ خفض صوته وبنبرة مؤثرة اضاف متمتماً :

– ام خائفة أن ابقى ؟

قالت وهي تحرر ذراعيها :

– هل بعض القبل المفاجئة ستجعلك تتخيل اني لن اعرف كيف أسيطر على نفسي ؟ إن هذا عبث .

– حقاً ؟ الليلة الماضية ، عندما نام "شيكو" اقترحت عليك أن ترافقيني إلى النهر . لكنك رفضت على الفور . اظهرت تثاؤباً طويلاً وكلانا يعرف أنك لم تكوني متعبة .

قالت وهي تتراجع خطوة بينما كان هو يقترب منها :

– بل كنت متعبة .

– إنك لم تتعبي إلا لهذا . لقد كنت تتقلبين في فراشك حتى الثالثة صباحاً .

– وانت ايضاً .

ارتبكت وقد تملكتها رغبة جعلت كل جزء في جسدها يرتعش .

سالته :

- لماذا لم تستطع النوم ؟

كانت تحس بانها خسرت المعركة لكنها كانت تسخر من الموقف.

- لاني في كل مرة كنت اغمض فيها عيني ، كنت اتخيلك عارية.

لقد احست بان حنجرتها قد سدت بينما ابتعد عنها .

- اضمن لك انك لن تخافي من شيء حتى اعود . بعدها كل منا يرى شؤونه .

تقدم "شيكو" ناحية المنزل وتبعه "تيت دوبيوش" .

امسك "ريلي" بزمام القرد قبل أن يقدم له ثمرة تين . ثم اختبأ هذا الأخير أسفل المنضدة .

قال "شيكو" وهو يلقي بملابس "اليزون" الداخلية فوق المنضدة :

- هيه يا سيدتي .

جسها ثم هز راسه .

- هل دفعت ثمناً باهظاً فيها ؟

سالته عندما خرجت من الغفلة التي اغرقها فيها "ريلي" :

- ماذا ؟

- لقد رأيت انسجة عناكب أسمك من هذه الأشياء .

قال "ريلي" وهو يثبت زمام القرد في رجل المنضدة :

- اترك انسجة العناكب هذه ، إننا سنرحل إلى "بوكالي" خلال نصف ساعة .

خلال الثلاثين دقيقة التالية كرر "ريلي" كل ما تحتاج "اليزون" معرفته، وكلما تكلم ، استرجعت فكرة أنها ستقضي الليلة وحدها. فهمت بسرعة ورفضت أن يكرر تعليماته .

قال لنفسه : "أين كنت عندما كنت أعيد تنظيم قسم دراسة السوق لـ"تيلور"" ؟

قال "شيكو" وهو يبعدها ، بعد مرور بعض الوقت :

- لا تقبليني يا سيدتي . لكن يمكنك أن تصافحيني بقوة .

قالت له وهي تمسك بيده :

- انتبه لنفسك جيداً . واستفد بوقتك مع والدك .

- أبقي "تيت دوبيوش" مربوطاً بضع ساعات بعد رحيلنا لا أريده أن يتبعنا إلى "بوكالي" .

نظرت "اليزون" إلى القرد بحذر :

- هل أنت واثق بانك لا تريد اصطحابه معك ؟

رد وهو يحمل الحقيبة على ظهره :

- لو راوه فسيطبخونه يخنة . ساعود بعد ظهر الغد .

ثم ابتسم ومد لها يده .

امسكتها وبمجرد ان بدأ "شيكو" في هبوط الدرجات ، جذبها إليه . ثم نظر في عينيها بشدة فاحست برعشة إثارة تسري في طول عمودها الفقاري ، لكن عندما اعتقدت انه سيقبلها همس في اذنها بتعليمات "آخر لحظة" .

- حرري شعرك ، ولا تدعي القرود تفعل بك شيئاً .

ثم أكمل وهو يمسك بالملابس الداخلية بيده الشاغرة :

- وتخلصي من هذه الأشياء قبل عودتي .

نزل "ريلي" الدرجات ومشى مسافة قبل أن يلوح بيده .

ثم صاح قبل أن يختفي داخل الغابة :

- لا تخشي شيئا . كل شيء سيصبح على ما يرام . يوجد مسدس في الخزانة أسفل زجاجات المياه .

بعد مرور يومين وصل "ريلي" رافعاً راسه ناحية الكوخ :

- "كوكو" ! لقد عدت .

صاحت "اليزون" :

- "ريلي" ؟ هل هذا هو أنت يا "ريلي" ؟

اطلت براسها ثم نزلت باسرع ما يمكنها .

قالت متعجبة وهي تقابله في منتصف الطريق :

- اوه ، "ريلي" ! كنت احسب ان شيئاً خطيراً قد حدث لان الافكار السوداء لم تبتعد عن فكري اثناء غيابك لقد مر يومان ، ليلتان . ماذا حدث ؟ وماذا فعلت ...؟

القى بحقيبته وضمها بين ذراعيه قاطعاً فيضان الكلمات هذه بقبلة جريئة .

سالها وقد هدا تنفسه اخيراً :

- لقد افتقدتني ، اليس كذلك ؟

قالت وهي تتامله من وراء رموشها المنخفضة :

- لقد كنت قلقة . حسناً ، لقد كنت افتقدك .

لم يعد يعرف ماذا يفعل ، ايقبلها من جديد أم يلتهمها بعينيه ؟ لانها كانت ملتصقة به ، لم يجد بدأ من تاملها . لم تحرر شعرها كما طلب منها لكنها جعلت منه ذيل حصان فوق قمة راسها . اما عن النصيحة الاخرى بشان عدم ارتداء الملابس الداخلية فهذا ما سيتحقق منه لاحقاً .

- الم يحدث شيء ؟

- لقد هرب "تيت دوبيوش" مساء أمس . لم اره منذ ...

ابتعدت واكملت :

- "ريلي" ، اين كنت ؟ لماذا كان من اللازم ان ابقى هنا وحدي اكثر من ليلة ؟

قبل أن يستطيع الرد ، انهال المطر عليهما . امسك الحقيبة بيده وباليد الاخرى امسك بيد "اليزون" وتوجها نحو المستودع بمجرد ان ترك الحقيبة مسح وجهه وفتح لها ذراعيه وضمها إليه .

- لقد كنت مضطربة على العشاء أمس . "ريلي" هل حدث شيء

لـ "شيكو" ؟ هل تاخر والده اكثر ؟

قال وهو يبتسم بهدوء :

- لا شيء يدعو للفزع : لقد تماديت في لعب الورق فترة طالت اكثر من المتوقع .

رآها تسبل عينيها كعادتها قبل أن تبدا في الصراخ . للاسف لم يستطع أن يقول لها : إنه وجد صعوبة في جمع مساعديه .

- انتظري ، انتظري . بإمكاني أن اقول لك لماذا لعبت الورق .

ابتعدت عنه وقالت بصوت هادئ :

- هكذا إذن . لقد ربحت فندقاً آخر وتامل ان تمتلك سلسلة فنادق في المستقبل . تهانئي ، ايها الوقح .

لم تصرخ من جديد ، ولم تنطق بكلمة اخرى ، فقط ، تركته وخرجت في المطر .

الفصل السادس

سالها "ريلي" وهو يتبعها إلى درجات المستودع :

– ماذا حدث مخيمتي المرحة ؟ "اليزون" ، إلى أين تذهبين هكذا؟

– لا شان لك .

– ستبتلين .

قالت وهي تتابع سيرها :

– نعم ، لكن على الأقل لن أراك .

تامل "ريلي" الطين الذي لطخ قدميها ، ثم صعدت نظرته لتسمح له بتامل باقي جسدها والقى تصفيرة إعجاب .

توقفت لحظة عندما رات "تيت دوبيوش" يسرع ناحيتها . وعندما أهملت القرد الصغير ، أسرع ليجد له ملجا .

فكر "ريلي" انه إذا اختار "تيت دوبيوش" أن يظهر مرة اخرى للاحتماء من المطر ، فمن الأفضل لـ"اليزون" أن تعود راجعة.

صاح :

– لن تجدي مكاناً جافاً حتى "ريو ڤيرد" .

طقطق بعصبية على احد الأعمدة . إذا لم تتوقف الآن ، فستجد نفسها داخل الغابة .

مرر يده فوق قميصه الجاف تقريباً ونزل الدرجات مسرعاً وراءها . ولكنها عندما رأته يتقدم أسرعت الخطى ثم اختفت وراء الأشجار .

جرى وراءها باقصى سرعة وهو يقسم باعلى صوته . ورآها تضع ورقة على رأسها لتحتمي من المطر . لحق بها وضمها بقوة ثم جعلها تدور حول نفسها :

– أين تظنين نفسك ذاهبة هكذا ؟

– إني عائدة إلى "بوكالي" .

تخلصت من ذراعه بقوة وأعادت الورقة على راسها ثم تابعت سيرها .

– لن تصلي إلى هناك ابداً .

– بالتاكيد ساصل .

لحق بها وأجبرها على الالتفات بعنف هذه المرة .

– ماذا افعل لأوقفك ؟

قالت وهي تنظر إليه بتحد وأسفل الورقة الطويلة :

– لا شيء .

تعلقت قطرات المطر فوق رموش الرجل ، وانزلقت على انفه وذقنه وقد تصلب شعر جذعه الأسود . احست بالشفقة عليه وهي تنظر إلى شعره الذي الصقه المطر على جانبي عنقه وقميصه الذي فكت ازراره . احتقن حلقها ، هذا الجذع البرنزي المختفي تحت ذلك البنطلون الكاكي كان مثيراً للشفقة تماماً . كررت وهي تهز راسها :

– ليس بوسعك ان تفعل شيئاً .

ادركت مؤخراً انها ارادت ان تقنع نفسها بذلك .

وهو يقسم ، نزع الورقة من فوق راسها والقاها فوق "السرخس" قال وهو يرتفع من على الأرض كي يحملها فوق كتفه:

- هكذا .

في النهاية القت نفسها فوق كتفه مستسلمة له ، لكنها اجتهدت في ان تبقي صدرها بعيداً عن ظهر "ريلي" ، لا فائدة ، لقد كان جسداهما متعانقين من قبل مثل عاشقين .

سالها وهو يوازي جذرا مقوسا :

- لماذا هذا التاوه ؟

انزلها امام درج الكوخ . وقد منحتهما بعض الفروع المعلقة ملجا من المطر .

- لن اخبرك .

حاولت ان تبعده لكنه كان متسمرا ولم يتحرك :

- هل من الممكن - من فضلك - أن تدعني أمر ؟

وقف امامها معتدلا ووضع يديه على رد فيه :

- لن تذهبي إلى اي مكان في هذا المطر .

- حسنا ، سانتظر في المستودع حتى يتوقف المطر .

اشارلها إلى الدرجات .

ثم قال لها :

- اصعدي .

- لماذا ؟ الا يكفيك هذا اليوم ؟

- تبا لك . نعم .

لم يستسلم المطر ولا "ريلي" ايضا . إذا صعدت للكوخ الآن ، يمكنها أن تحزم بعض الأشياء قبل رحيلها . عصرت الماء من شعرها بتنهيدة ضيق ، ثم أدارت ظهرها له ثم صعدت الدرجات . تبعها "ريلي" بعد ان

اخذ حقيبته . وبعدما دخل الكوخ القى بها في ركن ثم بدأ يخلع قميصه .

قال وهو يخلع حذاءه :

- إني أموت جوعا . يمكننا ان نطلب بعض الأطباق الصينية .

قالت وهي تخرج الملابس القطنية التي القتها عليه :

- لدي فكرة أفضل .

حاول ان يتفاداها لكنها سقطت على قدميه .

- لماذا لاترسلك للبحث عنها ؟

في الكوخ المنعزل ، تاملت "اليزون" "ريلي" جيدا وقد تحيرت بين النظر إلى عينيه الخضراوين ام إلى جذعه العاري . وشعره الذي يتموج على كتفيه كان يبدو كما لو كان خارجا لتوه من فيلم مغامرات والذي يفتن اي بطلة . وعادت إلى تصورها . صورته وهو عائد بها إلى الادغال بجذعه العاري ، وبنطلونه الكاكي .

اصطكت اسنانها واغلقت عينيها وهي تقول لنفسها : إنها قد فقدت عقلها .

- لقد تركتني هنا كي تتمكن من لعب الورق . كيف يمكنك ان تفعل هذا ؟

قال وهو ياخذ اغطية كثيرة يضعها على فراش في الأرض !

- هيه ، لقد كانت مباراة لعب ورق مهمة .

لو كان يقصد المزاح فإن إجابته كانت محزنة بما يكفي لكنها تحملت رده لانه بدا جادا . "ريلي أندرسون" كان مراهقا فاسدا ، وحالته لاعلاج لها وهي لم تكن سوى بلهاء لانها قبلت أن تقضي وقتا آخر معه . ومجنونة لانها تجرؤ على محادثته .

- تبا ! لقد افتقدتك .

رفع عينيه :

- اعرف هذا جيدا .

تداخلت اصوات المطر مع فيضان الدماء الذي اصدر صداه في اذنيها .

وهي تتفحص عضلات جسده ، وشعر صدره وجذعه العاري لاحظت أنه يبدو عليه الاستمتاع وهو يضيف غطاء آخر للفراش .

قال بلهجة وقحة :

- وأنا أيضا افتقدتك .

إذا كان هناك شيء لاتتحمله فهو إذلال معرفتها بانه يسخر منها.

ردت ببرود وبسرعة وهي تتجه ناحية الدرجات :

- قل هذا إذن لقردك .

قال وهو ينهض :

- انتظري .

امسك بها من وسطها وجذبها برفق إلى حضنه . قابل ضربة كوعها بصبر ورباطة جاش ، لكن الركلة التي تلقاها في قدمه تستحق سبة من خمسة حروف .

- لقد اشتركت في لعب الورق كي احصل على معلومات عن "توني" .

لم تتحرك وبقيت فترة طويلة دون أن تتكلم . ولم يزعجه هذا لانها مازالت بين ذراعيه ولا تحاول الإفلات :

- إنك تدفعني للجنون . اليس كذلك ؟

تاكد أن شفتيه تمسان أذنها قبل أن يتمتم :

- "اليزون" . أنا لم ادفعك للجنون بعد . حتى الآن .

سمع لهاثا منخفضا زاد رغبته فيها . وشدت نفسها إليه .

- ماذا اكتشفت عن "توني" ؟

فكرة أنها مازالت متعلقة بإخلاصه لهذا الموضوع ابهجته ، جلا حنجرته باقل ضوضاء ممكنة ، في هذه اللحظة بالذات لا يريد أن

يخون حالته العاطفية ؟

- لن ياتي "توني" قبل اسبوع .

سالته وهي تحاول عبثا أن تستدير كي تتفرس فيه :

- أسبوع ؟ ماذا يفعل الآن ؟

- سيشرح لك "توني" كل شيء حالما يراك .

سالته بهدوء :

- وأنت ؟ أم أني لست عاقلة كي أستعلم عن هذا الأمر منك ؟

- بل تستطيعين .

توسلت إليه متمتمة :

- قل لي شيئا إذن .

قال وهو يشد نفسه إليها بشدة كي يحثها على الاستسلام :

- إني هنا الآن من أجلك .

مرر يده فوق بطنها :

- وسابقى معك سبعة ايام وست ليال .

خارج الكوخ كان الرعد يرج أرجاء جنتهما . لكن في الداخل، كان "ريلي" ينتظر أن تخرج "اليزون" تنهيدة صغيرة . سمع تنفسها يتسارع وعرف بهذا أنها ستستسلم . عندما تركت راسها يلقى على صدره في النهاية ، هدهدها بلطف :

- إحساس رائع .

سالته بصوت منخفض :

- من أنت يا "ريلي" ؟ ولماذا تدير هذا الفندق الفظيع ؟

جعلها تدور حول نفسها وأمسك راسها بين يديه :

- أنا هنا الآن ، وفي هذه اللحظة ، من اجلك ، وهذا مايهم .

القت نظرة استسلام فوق الفراش ونظرة أخرى على جذعه العاري ثم هزت راسها :

- لست متاكدة من هذا .

- بل انت متاكدة ، منذ أول يوم لنا ، وانا ايضا .

قطبت حاجبيها. واضاف رغم ذلك :

- لا يمكنك الرحيل الآن يا جميلتي ..

وعندما بدا يفك ازرار قميصه امسكت بيده .

- "ريلي" ؟

لقد انعقدت حنجرتها فعضت على شفتها .

انتظر كلامها لكن الكلمات لم تخرج . ومع ذلك فإن بلاغة عينيها كانت اقدر على التعبير . هناك شيء بينهما اقوى من مجرد انجذاب جسدي . شيء قوي وعنيف مثل تلك الصاعقة خارج الكوخ . شيء يدفعها إلى الاستسلام لرغبتها القاتلة فيه ، شيء يدفعها للجنون .

همس لها :

- "اليزون" ، هناك اشياء محتومة .

لقد محي آخر أثر للشك عندما اهدت له ابتسامتها الساحرة .

- ناديني "الي" .

- بداية طيبة .

لقد جعلها تكتشف الجانب الآخر من الجنة ، الجانب الألذ والذي لم تعرفه أبدا مع شخص قبله .

الآن ، قد هدا الرعد والعواصف خارج الكهف ، وامتلات القلوب العطشى من نبع الحب حتى الثمالة .

امسكت "اليزون" بغطاء بسرعة وغطت به جسدها .

ثم قالت :

- عليك اللعنة يا "ريلي" ، لقد قلت لي : إننا بمفردنا .

اعتدل "ريلي" واستدار ناحية الدرج ، هناك ، حيث كان "تيت دوبيوس" يصفق بيديه ويبتسم .

الفصل السابع

قام القرد الصغير بانقلابة وهو يصفق بيديه من جديد سائرا على طول الدرابزين الزان قبل ان يتعلق بفرع شجرة .

انفجر "ريلي" في الضحك وكذلك فعلت "اليزون" التي لفت نفسها بالغطاء ووقفت بجوار "ريلي" ليشاهدا مشاهدهما الوحيد .

سالته وهي تتامل الأغصان :

- أين وجدته ؟

كان واقفا على باب الفندق صباح اليوم الذي اقمت فيه .

كانت ساقه مكسورة ، محتمل أن يكون قد سقط من فوق شجرة. باختصار ، تدبرت الامر وسقيته بعض الشراب ليثمل وتصرفت مع ساقه .

سالته وهي تراه ياخذ ثمرة تين من السلة ويلقي بها للقرد :

- كيف استطعت أن تعالج ساقه ؟

- بفضل السنة التي قضيتها في دراسة الطب وبفضل نصائح رجل مداو من قرية "شيكو" .

- هل درست الطب ؟ لكن كيف استطعت امتلاك هذا الفندق ؟

إنها تحثه على الثم : ملأ فمه بالهواء ثم اخرجه . إذا لم يغير المحادثة فستصر على معرفة القصة كلها .

نفد صبرها فامالت رأسها جانبا :

- "ريلي" ؟

تردد "ريلي" أماهي فلا :

- هيا . بعد الذي عشناه توا ، تتجاهل أسئلتي رغم ذلك . من انت ؟

قال وهو يداعب كتفها :

- دعك من هذا يا "الي" . لاتفكري في الأمس ولا الغد . عيشي فقط اللحظة الحاضرة . إن أمامنا أسبوعا كاملا وربما ...

- "ريلي" . لا أستطيع أن افعل هذا .

- بل تستطيعين ، لقد بدأ هذا بالفعل . هناك فوق هذه الأغطية .

نظر إليها بينما كانت تتذكر كل ماحدث .

- "الي" . لقد مارسنا توا شيئا في منتهى القوة .

قالت وما تزال عيناها مركزتين على الأغطية :

- إن ماحدث كان حقيقيا .

- اعرف . لقد طلبت مني أن أخذ قرارا بشأن الخوض في مغامرة خيالية . الحياة في حلم .

رأى تعبير وجهها يتغير :

- نعم ، هذا حقيقي .

- وما الضير في أن نعيش بعض الحلم ؟

- لكني لا اعرف شيئا عنك .

رد على الفور وهو يهدي إليها ابتسامة جذابة :

- بل تعرفين عني الكثير ، وكل ماتجهلينه غير ذي اهمية . على الأقل ، هنا والآن .

وقف خلفها تماما وتاكد أنها تنظر إلى الأغصان :

- انظري إلى هذه الجنة الجميلة ، إلى هذه الطيور وتلك الورود التي لا نعرف لها اسما . اسمعي الموسيقى التي تصدرها القرود والطيور هناك ... تلك الضوضاء . ربما لانعرف مصدرها أبدا . تاثري بكل هذا واستنشقي عبير الأرض هذا الذي يشبه رائحتنا ونحن نمارس الحب .

قالت بصوت بدا وكانه قادم من بعيد :

- هذا حقيقي . لكن علي أن اذهب إلى "بوكالي" . ليس هناك اي سبب يتيح لي ....

قال وهو يجعلها تستدير ناحيته مداعبا ذراعيها :

- لاتخافي . تذكري ما قلته لي ونحن مع "شيكو" عند النهر : بلا اية مسؤولية ولاهم . لاشيء سوى متع الجنة وكل الوقت المتاح للاستفادة به من تلك المتع . هيا يا "الي" . هل تتذكرين ؟

خبطت على صدرها :

- انا ؟

نظر مباشرة في عينيها حتى اعترفت كرها .

كرر كلامها :

- انا ، انا يا ... "طرزان" .

وضعت يدها على وجهها ومشت حتى وسط الحجرة . لقد ايقظ في داخلها حلم طفولتها ، بطل الغابة . إنه يعرف أن بطل أحلامها "طرزان" هو الذي سيحدث أثرا مميتا عليها .

هذه الفكرة سحرتها وتركته يزيح يديها من على وجهها بينما ضرب على صدره واعتلت شفتيه ابتسامة أضاءت وجهه .

قال بصوت أجش جعلها تضحك بشدة :

- "طرزان" .

ونطقها بقوة أكثر هذه المرة .

- "طرزان" !

استسلمت في النهاية :

- "طرزاني" .

اقتربت منه ، مست ذقنه بشفتيها وتحسست شعره ، كتفيه ، عضلات ذراعيه . شخصية "طرزان" عزم "طرزان" وجسد "طرزان" .

- "طرزان" لي أنا .

قال وهو يحتضنها :

- كله لك .

أفلتت منها صرخة دهشة تحولت سريعا إلى ضحكة جذابة :

- "ريلي" ماالذي فعلناه توا ؟

قال وهو يعيدها تجاه الدرابزين :

- ليس المهم مافعلناه ، الأهم ماسنفعله .

مال عليها كما لو كان سيقبلها ومس شفتيها بسبابته قائلا :

- أقسم لك أننا سنكتشف كل شيء وسنبدأ الآن .

- كل شيء ؟

قال وهو يجعلها تدور ناحيته :

- على الأقل مرتين .

رفعت "اليزون" حافة قبعتها ونظرت إليه . كان عاريا حتى وسطه وشعره أشعث . ملك الغابة كان يعمل في زورقهم بمهارة فائقة . اتجه إلى ميمنة الزورق وهو يتصبب عرقا ، إنها لم تتوقف عن مراقبته منذ أن تركا "تيت دوبيوش" من ساعتين .

رفع عينيه عن الماء وابتسم لها .

سألها وهو يدفع النباتات التي تكدست أمام الزورق :

- هل هو مريح ؟

بينما كانت تراقب المياه حول الزورق . مررت يدها في الأغصان المتدلية فوقهما ، واختلطت بعض الأصوات الغريبة بصوت المجداف الذي كان يشق سطح الماء .

ردت وهي تمدد ساقيها فوق حقائبهما :

- مريح جدا . إن إقلاع "كليوباترا" لم يكن معدا جيدا .

قال وهو يغمز لها بعينه كي يضايقها :

- انتبهي . إن خيالك اختلط وهذا كثيرا على عجوز مثلي .

نظرت له بجنب عينها وقالت :

- إخال أنك في الثانية والثلاثين ، أليس كذلك ؟

- لقد أتممت لتوي الرابعة والثلاثين .

هزت رأسها بينما اجتاح عقلها شلال من الأسئلة . لقد قال لها: "فلنعش اللحظة الحاضرة" ، وهاهي تجتهد لكي تفعل . أغلب الوقت ، كان يسهل عليها الأمور . كان يتصرف تحت تأثير التلقائية ولقد خضعت لقانونه . بعد الغداء ، نظفت المنضدة وتمددت أسفلها . تأملت هذه الصورة التي تحيط بها وجذبت قبعتها حتى أنفها ثم حبست بعض الهمهمة . مجنون ولطيف في نفس الوقت ، إنه ملكها تماما حتى نهاية الأسبوع ناداها :

- "الي" ، إني أقرأ في صحتك هذه مايقرؤه البعض في عقول الناس على ظهر الزورق ، تعرفين ، ممكن أن يقودنا هذا إلى داخل الماء بسرعة أكثر مما تتخيلينها .

- "ريلي أندرسون" ! إني مصدومة تماما من إمكان أن تعتقد أني ...

قال وهو يقلدها في الوقوف :

- من إمكان أن أعتقد في مثل تلك الأفعال البذيئة .

اعتقدت – لحظة – انه يحاول أن يمارس الحب معها لكنه امسك بعصا من الخيزران ودسها في الماء .

علق وهو يسرع في سير الزورق :

– إن القاع عميق . لكن عندي فكرة أفضل للوصول بسرعة إلى الشاطئ .

لم تدهشها معرفته بكل هذه الأشياء ، لكنها قالت لنفسها : ربما قد أنهى دراساته في الطب ، لكن لماذا لايمارسه إذن ؟ ولماذا يضيع وقته على هامش الحياة المتحضرة ؟ كان عليها أن تتفحص الكتب الموجودة بحجرته في فندق "الفردوس" لكي تفهم الأمر أكثر . حكت أنفها ووبخت نفسها في صمت . لابد أن هناك سراخفيا ، كامنا بداخله . لكن مهما كان هذا السر فليست هذه مشكلتها . إن قلبها يملي عليها مايريده ، إنها لاتحبه ، فالمرء لايمكن أن يصبح عاشقا في عدة أسابيع : أليس كذلك ؟ اعتدلت ونظرت إليه بشدة.

عاودت الجلوس مرة أخرى وهي تقول لنفسها : إن هذا ليس بسبب أنه همس في أذنها بأشياء غريبة – وهمايمارسان الحب – بأنه يحبها ، فلابد أن هذا جزء من القصة التي يعرضها عليها . وإذا استمرت هذه القصة فستتظاهر بأنها تحبه . وضعت يديها على صدرها .

سألها :

– لماذا هذه النظرة ؟

ردت وهي تحس بقلبها يخفق بشدة تحت يديها :

– لا شيء .

نظرت إليه وقد فتنها جسده القوي وعضلاته المفتولة وهو يجثو على ركبتيه كي يحافظ على توازنه .

– إنك رائع يا "ريلي" . رائع للغاية . أقسم لك ، إن بإمكاني أن التهمك

بقبلاتي .

قال بصوت صدر من حنجرته :

– "طرزان" وسيم . "أليزون" رائعة الجمال .

صرخ طائر فوق الشجرة ، صرخة قوية .

قال وهو يحرك رأسه ليقلد الطريقة التي نقنع بها شخصا :

– إن الطائر متفق مع "طرزان" .

إنها لاتحبه ، بل تحب أن يشعرها بالحياة ، نعم ، هذه هي الحقيقة.والآن تجعلها تشعر بالرغبة في البكاء مسحت وجهها متظاهرة بأنها تمسح عرقا وازدردت لعابها ثم اتخذت لهجة سائح فضولي :

– "ريلي" ، بمناسبة الكلام عن روعة الجمال ، هل رأيت "كيتزال" من قبل ؟ لقد سمعت أنه أجمل طيور أمريكا .

– لم أره بعد . إنه يعيش في الغابات الموسمية حيث يصعب رؤية ريشه الزمردي بين النباتات الموسمية .

سألته وهي تشير بيدها إلى نفق الأغصان الذي كانا يعبرانه :

– هل النباتات الموسمية هناك أكثر وفرة عن هنا ؟

– إنها تنمو هناك بجنون . فالنباتات تجد الرطوبة في الجو المحمل بالضباب . البروماليات ، السرخسيات، الموسميات كلها تنمو فوق بعضها .

هزت رأسها باهتمام :

– الغابات الموسمية هي أكثر مكان إبهارا رأيته حتى الآن .

وضع العصا الخيزران في قاع الزورق ، وجلس ليعاود التجديف كانت ستلقي عليه أسئلة أخرى عن الغابات الاستوائية لكنها دهشت من حركة في النهر .

همست وهي تميل :

- "ريلي" ، اعتقد اني لمحت شخصا هناك .
- حسنا يا آنسة "ريتشارد" . إنهم يتبعوننا من نصف ساعة .
- هل هم كثيرون ؟ من هم ؟ وماذا يفعلون في هذا المكان ؟
قال وهو يوجه الزورق إلى حافة النهر :
- إنهم جزء من آخر القبائل التي تسكن الغابات الاستوائية .
والشيء الأكيد ، هو انك لن تحصلي على نهار في قرية "كالا مارتو" .
أدارت "اليزون" رأسها ورأت عشرات الأشخاص انصاف عراة يسيرون في اتجاه النهر . وقد علت ضحكاتهم في الهواء .
بينما كان الزورق يقترب من الشاطئ ، أسرع العديد من الأطفال في أثره . قفز "ريلي" إلى خارج الزورق .
وجذب القارب بسرعة إلى الأرض بمساعدة الصبية . وقبل أن تبدأ في إلقاء الأسئلة . التفت حولها أربع سيدات وبدان في مداعبة شعرها.. تكلم معهن "ريلي" وكان نصف حديثه بالإسبانية والنصف الآخر بلغة أخرى .
- إنهن يتكلمن عن شعري . أليس كذلك ؟
- بلى .
سألته "اليزون" بينما كانت إحدى السيدات تخلع الأمشاط من شعرها :
- حسنا ، وماذا تقلن ؟
كان شعر "اليزون" الأشقر مفرودا فوق كتفيها ، ابتعدت السيدات دهشات .
- لاشيء ذو أهمية . يردن أن يعرفن إذا كنت ساقايضهن بدلو من المشروبات المحلية .
سألته وهي تنتزع خصلة من يد إحداهن .
- بشعري ؟ اتمنى أن تكون قد قلت لهن : لا .

قال وهو يتجه نحو المنحدر :
- لقد قلت لهن : إني موافق في مقابل عبوة من ست عصائر طازجة.
صاحت وهي تقفز بسرعة خارج الزورق الذي كان سينقلب :
- "ريلي" ! انتظر . لا تتركني هنا .
استدار ليراها ، ثم امسك بيدها وقادها نحو حافة النهر .
- هيا ، لاأريد لأحد ان يلمسك .
- وحقائبنا ؟ ربما كان علينا ان ناخذها معنا .
شرح لها بلطف بينما كانت إحدى السيدات ترد لها امشاطها :
- "اليزون" . انظري حولك. هؤلاء الناس لايعرفون معنى السرقة، فلقد وهبتهم الطبيعة كل مايحتاجون إليه .
- لكن كيف ....؟
- رد الدين :
نظر إلى امراة كانت ترضع طفلها :
- قانون إيمانهم أن الله ياتي لمساعدتهم ، هذا كل مالديهم حاليا في مستقبلهم .
ادهشها غضب لهجته ، لأول مرة تراه ثائر الأعصاب . تنفست هواء القرية المعبق بالدخان ، إن "ريلي" لم يخفق ولامرة في إثارة فضولها .
- أريد أن أقول . ماذا ...ماذا لو مرضوا ؟
- إن هذا آخر شيء يهتمون به . فنحن في أكبر صيدلية طبيعية على وجه الأرض ، شريطة الا يمسك بالغابة مفاوضو الـ"ديابلو" ويمررون فوقها المنشار .
قالت وهي تدور حول "ريلي" :
- إنهم لن يفعلوا ذلك ، هل سيفعلون ؟
تاملها نصف دقيقة قبل أن يمسكها من كتفيها .
قال وهو يتجه نحو منازل مقامة على أوتاد :

- "طرزان" لن يسمح لهم بهذا يا "الي" .

عندما لم يرها تبتسم ، اضاف :

- على اية حال هذه الأشياء لاتحدث إلا في "بريسيل" .

قالت وهي تخرج تنهيدة كبيرة :

- اه ..

قال وهو يتقدم :

- انتظريني ، لدي أمور اناقشها مع الرئيس .

- الرئيس ؟ هل تاتي بي حتى هنا ولا أستطيع مقابلة الرئيس ؟

اشار لها بان تتبعه مقطبا حاجبيه متعمدا :

- إخال اني ليس امامي خيار .

لحقت به وهي تهرول :

- ماذا لديك لتناقشه مع الرئيس ؟

- السماح لنا بعبور أرضه .

سالته وهي تسرع الخطى نحو الباب من خلفه :

- هل يجب علي أن انحني امامه ؟

رد وهو يجذبها للداخل :

- افضل شيء تفعلينه هو أن تجلسي في ركن وأن تلزمي الصمت .

قالت وهي تنظر له بغضب وقد وضعت يديها على ردفيها :

- حسنا ، أخشى أن أبدو فظة .

- ليست هذه هي المشكلة . لكن ربما يسعد الرئيس "اتوتيكو" بان تكون له زوجة ثالثة شقراء و ....

- هكذا .

جلست في زاوية من الحجرة وراحت عيناها تتاملان تفاصيل كل شيء من حولها بدءا من السقف القشي حتى الغليون الغريب الذي كان يدخنه الرئيس ، هذا الأخير لم يختلف عن غيره من الناس الذين راتهم

بالخارج ما عدا بعض الزينة الموضوعة على كتفيه . بدات تتخيل مغامرتها مع "ريلي" ، القبيلة ، ورئيسها . بينما كان "ريلي" يتحدث مع الرئيس وسط الغرفة ، غاصت "اليزون" . في احلامها .

احلام تحدث في الغابة ، شخص لابد من إنقاذه ، ورماح مسمومة و"ريلي" يرتدي تنورة" ، معلقا في العريشة . انتفضت عندما ناداها "ريلي" .

سالته وهي تنتفض من عودتها للواقع :

- ماذا قلت ؟

- إنه يريد أن يرى ساعتك .

- ساعتي ؟ لكن والدي أهداني إياها في ...

- سيردها إليك .

خلعتها من معصمها ومدت يدها بها لـ"ريلي" .

- إنه يريدك أن تعطيه إياها انت بنفسك .

قالت لنفسها وهي تعبر الحجرة : "كاننا نمثل فيلما . لكنه فيلم أهدأ من الذي كنت اتخيله" . انحنت امامه وجثت على ركبتيها كي تمد له يدها بالساعة .

- هل يريد أن أريه كيف يعمل المنبه ؟

قال "ريلي" :

- ليس هذا مهما . اعتقد انه يريد فقط أن يراك عن قرب .

قالت وهي تتامل الوشم الذي كان فوق جبهته وخديه :

- إني اتفهم فضوله . انا ايضا كنت أريد رؤيته عن قرب .

تكلم الرئيس مع "ريلي" .

سالته :

- ماذا قال ؟

- يريد أن يعرف إذا كان يمكنه أن يلمس شعرك .

ابتسمت للرئيس ومدت له خصلة من شعرها .

- هل لونه هو الذي يفتنهم ؟

- نعم وطريقة تصفيفه .

تكلم الرئيس مع "ريلي" الذي ترجم :

- يريد أن يعرف إذا كنت تريدين لمس اي جزء من جسده ؟

نظر "ريلي" في عيني "اليزون" وهي ايضا في لحظة تردد وتفكير ترجمت إلى شيء آخر بينهما .

هزت رأسها ونهضت قائلة :

- لا . شكرا .

قادها "ريلي" حتى درابزين السلم .

قال لها :

- إجابة موفقة ، إن الالوان والابدان تختلف ، لكن كما أعرف هناك نموذجان . ومن الافضل أن نخمن نموذج الرئيس .

قالت وهي تودعه بحركة من يدها :

- اعتقد انك محق .

حبست بعض الهمهمة بينما كان "ريلي" يدفعها للخارج .

غادرا قرية "كالامارتو" سيرا على الاقدام ، تابعين مرشديهماوهما متطوعان من القرية ، ليندسا داخل الغابة الاستوائية . في تمام الساعة الثانية بدات "اليزون" تشتكي من الالم في ساقيها ، لكن "ريلي" كان مازال محتفظا بطاقة كبيرة جعلته يحثها على متابعة السير .

وعندما توقفا في تمام الساعة الثالثة ، طلب "ريلي" من الرجلين أن يضعا مؤنهما على الأرض . وبعد تبادل بعض الحديث ، انحنى الرفيقان أمامهما ثم انصرفا .

سالته "اليزون" بصوت يتضمن احتمال ضيقها :

- هل سيتركاننا هنا ؟

اجابها "ريلي" وهو يساعدها على التخلص من حقيبة ظهرها :

- بضعة ايام . وسيعودان في الوقت المناسب . دعيني أر وشاحك .

اعطته إياه فجلس خلفها وعصب عينيها قبل أن يوقفها ويقودها لمكان ابعد .

- هل انت متاكد اني لن استطيع أن أعرف الطريق هنا ؟

- ليس هذا شيئا مثيرا ياصغيرتي الحالمة . اريد ببساطة ان تكوني واعية بهذا المكان .

بعد فترة اجلسها على الارض ورفع العصابة عن عينيها .

ظلت لاوية فمها دون أن تتكلم ثواني .

ثم تمتمت اخيرا :

- اوه يا "ريلي" . إن المرء ليحسبه إعلان سينما .

امسكت بذراعيه وحركتهما وهي تجتهد كي تتكلم ، لكن بعد محاولات عديدة استسلمت وجلست بالقرب من المنزل الصغير ذي السقف القش والذي لا يبعد كثيرا عن حمام السباحة الدائري ومن حولهما عشرات الفراشات الملونة تحلق في الهواء .

ومن خلال ستارة النباتات المتسلقة رأت وسمعت صوت شلالين . رفعت عينيها ناحية "ريلي" الذي خلع حذاءه وانحنى كي يخلع حذاءها .

- عيد ميلاد سعيد يا "الي" .

- لكن ... ليس هذا عيد ميلادي .

قال متسمرا قبل أن يقطب حاجبيه :

- حسنا . من الأفضل أن نذهب إذن .

نهض واستدار كما لو كان سيبتعد .

قالت وهي تجذبه ناحيتها كي تقبله :

- بالتاكيد لا .

ودون أن يقطع القبلة اجبرها على الوقوف . ضمها بين ذراعيه واتجها ناحية حمام السباحة ، وعندما ابعد فمه ، وضعت راسها فوق كتفه وتنهدت :

- لقد كنت اتخيل أن يكون الناس في هذا المكان عراة .

قال وهو يضعها على الارض :

- أحب أن اسمعك تتكلمين عن الذي تفكرين فيه .

لقد غاصا عاريين في الماء واسترخت هي على ظهرها فتمدد شعرها فوق سطح الماء مثل شرط عسلية وعلى القرب كان عصفور يزقزق لرفيقته بينما مست شعيرات "ريلي" ظهرها عندما غاص تحتها . طفا على سطح الماء وابعد الشعر عن وجهه ابتسمت له بوحشية وقد اغلقت عينيها قليلا ..

- ما اسم هذا المكان ؟

قال وهو يدلك لها قدميها :

- خمني .

- هل كذبت على الرئيس ؟

مدت ذراعيها كي تتماسك محدقة النظر في عينيه . اثناء الحديث عن الزواج اعادها إلى واقع لم ترغب في تذكره .

لكنها فكرت فيه رغم ذلك . إنها لن تقع في غرامه .

قال وهو يراقبها :

- لقد اضفت بعض الأشياء فقط . إنك تبدين وكانك بين السحاب يا "آلي" . لابد أن هذه الرحلة اتعبتك .

ردت وهي تشعر بدفء جميل في موضع عضلاتها المتعبة :

- إني أسترخي ، هذا كل مافي الامر .

- كيف يغلق المرء عينيه وتفوته لحظة من كل هذا ؟

ادارت عينيها نحوحافة الحمام وابتسمت لـ"ريلي" وكانها نائمة :

- ليس انا . انا لا اريد ان تفوتني لحظة من هذه اللحظات الرومانسية .

وقف واقترب منها ثم ضمها برفق بين ذراعيه .

قال :

- إن امامنا الكثير من الوقت .

رات صورته ترتسم امامها . إنه يميل ليقبلها على جبهتها ثم تمتم:

- إن امامنا الحياة كلها .

كان اختلاط دفء مداعبته بانعدام جاذبية الماء جعلها نائمة تقريبا.

همست باسمه وقد ارادته ، وهي نصف واعية ، أن يرد على سؤال لم تستطع طرحه . سؤال غاص في قلب اسئلة اخرى دون إجابة . أسئلة مجنونة عن القروض ومستندات البنوك والمكان الذي يشيد فيه منزلا . همست باسمه من جديد . إنها لم تعد متاكدة من شيء ... فقط تغلب عدم اليقين على كل ماكانت تشعر به .

- اصمتي يا "آلي" . ساحملك الآن . لاتخافي . لن تسقطي مني.

الفصل الثامن

سألته وهي تتأمل الشجرة الضخمة على الجانب الآخر من الحمام :

- ماذا تريدني أن أفعل ؟

- اسبحي حتى هناك وتسلقي الشجرة .

أشار لها إلى فرع غليظ .

- عندما كنت نائمة وضعت عليه مفاجأة لك .

قالت وهي تجعد أنفها :

- درجات الكوخ ممكن صعودها لكن تسلق شجرة .. لا أعرف . لست موهوبة في التسلق .

- بساقين رائعتين مثل ساقيك . ألم تستمتعي بالتسلق وأنت صغيرة؟

حركت يدها بعصبية وتأملت ساقيها :

- ليس حقيقيا .

إنه ليس موضوع إفساد حلم بذكريات سيئة .

حدث وهي تتأمل الشجرة :

- فلنقل : إن الفرصة لم تسنح لذلك .

قال وهو يمسك بيدها ويتجهان نحو الماء :

- حسنا ياعزيزتي ، ربما كان هذا وقت التعلم .

ردت حينما وصلا لحافة الحمام :

- لست مصرة على هذا .

قال :

- لكنني أنا مصر على رؤية وجهك عندما تكتشفين مفاجأتي .

بعد مرور عشر دقائق ، كانت قد ارتدت "مايوه" من قطعتين لونه أصفر فاتح . وقد عبرا الحمام سباحة . تسلق الفرع الأول وقادها.

- ثقي بي ، لن تسقطي ! ليس هذا مثل شجر الكرز الموجودبحديقتك يا "آلي" . هذا الفرع أوسع من وسادة الأريكة هكذا . ضعي يديك هناك . وتخطي كمية الأغصان .

عندما لحقت به ، تركها تأخذ نفسها قبل أن يشير لها بذقنه على مشعب غصون في الشجرة .

- مفاجأتك .

قالت بعد ما تفحصته خمس ثوان .

- إنه حبل مربوط .

هز رأسه بنفاد صبر ودفعها ذلك لأن تبدو أكثر حماسة .

سألته وهي قادرة على الميل خشية أن تسقط في الماء الذي كان أسفلهما بحوالي عشرة أمتار :

- جميل . ولكن مربوط بأي شيء ؟

أشار لها إلى أعلى طرف الحبل المرئي من المكان الذي وقفا فيه.

قال وقد نفد صبره بالفعل :

- "الي" إن الحبل مربوط بالشجرة . هل ترين ؟

قالت وهي تتعلق بالفرع بشدة :

- هذا ما أراه جيدا ، لكن ماذا علي أن افعل بهذا ؟

- غالبا ماعلينا أن نفعل .هل تتذكرين "طرزان" وعرائشه ؟ في حالتنا هذه فإن حبلا متينا سيفي بالغرض ... تعرفين نشاطنا النهاري . اليس كذلك ؟ هل تعلقت بالفخ ؟

انتظر حتى تدير رأسها ناحيته وسالته :

- هل تريدني أن أتعلق بنهاية هذا الحبل ؟

ابتسم لها :

- ثم تتركيه وتسقطي .

قالت وهي تستدير كي ترى كيف ستنزل من الشجرة :

- أوه ، لا اصدق هذا ، لكني ساشاهدك وانت تفعله .

رفعت ساقها كي تجتاز الأغصان ثم اكملت بقلق :

- ليست هذه فكرة عبقرية يا "ريلي" . لقد كنت أحب أن أرى "طرزان" يفعل هذا في الأفلام ، لكن ...

نظرت وأحست بيد "ريلي" تمسك بمعصمها وصعدت نظرتها إلى ذراع عاشقها ثم إلى وجهه .

- ماذا هناك ؟

- سنفعلها معا .

وفي لحظة حل الإحساس بالذنب مكان خوفها .

لقد تحمل المشقة لتجهيز هذه المفاجاة من أجلها ، سحب الحبل وربطه باعلى الشجرة بينما كانت نائمة . لكنه كان يجهل انها في مجال مثل تلك العمليات ، كانت مثل العروس الخزفية .

- "ريلي" إنك لا تعرف ....

- أنت خائفة .

- إني مصعوقة ، لم اكذب عليك حينما قلت لك : إني لم افعل هذا وانا صغيرة . أنا آسفة ، لكن من الأفضل أن تنسى هذا الموضوع حتى لو كان ذلك من أجلي .

نظرت إليه مرتين :

- ما الذي يجعلك تبتسم ؟

- ربما كان "ريلي" سينسى . لكنك لاتتحدثين الآن إلى "ريلي" إنك تتحدثين إلى "طرزان" .

لملم الحبل وانزل منه حوالي ثلاثة امتار قبل أن يضع يديه فوق عقدة مناسبة . استند إلى فرع وتفرس فيها على عجل .

ثم قال وهو يلف قدميه حول عقدة كبيرة :

- "جين" كانت ستفعلها من أجل "طرزان" .

رأت "ريلي" وهو يهوي بين الأغصان ثم يسقط في الماء .

إنه يحقق لها أغلى أحلام طفولتها . وعندما أطلق صرخة "طرزان" أحست بانها تترنح . في لحظة تركه للحبل . تساءلت : لماذا لاافعل أنا الاخرى ؟ وعندما عاد الحبل استعدت وأمسكت به.

تعلقت "اليزون" بالحبل عندما ظهر هو على سطح المياه ، حاول أن يراقبها لكن الأغصان الكثيفة حالت بينه وبينها .

سالها وهو يسبح حتى الشاطئ:

- هل تريدينني أن آتي لمساعدتك في النزول ؟

وقف وقد وصلت المياه حتى ركبتيه .

صاحت وهي تلف نفسها حول الحبل :

- ابق مكانك .

احست بالخوف يجتاحها من جديد لكنها قالت لنفسها: إنها قادرة على ذلك، وهي تطلق صرختها، نزلت ببطه وعبرت خط الأغصان الكثيفة لكن هبوطها لم يكن متناسقا مثلما فعل، ابتعدت قليلا عن

الشجرة وتحولت صرختها إلى صياح . إنها متعلقة بالحياة.

- اتركي الحبل يا "الي" . اتركيه . أوه . ياإلهي .....!!!

لقد لحقت به لكن على الأرض ، خارج المياه ، وجدا نفسيهما منبطحين وسط الوحل . جثا وتفحص عينيها اللتين تحركتا بلا نظام.

- كنت تعرفين انه لابد من ترك الحبل .

تمتمت قبل أن تغلق عينيها ببطء :

- أردت أن أحدث شيئا جديدا .

- "الي"؟

رفع خصلات شعرها التي انسدلت على وجهها وثناها برفق .

قال وهو ينتحي جانبا :

- لاتسخري مني يا "الي" .

ولأنها لم تفتح عينيها ، رش وجهها بالماء .

همس :

- افيقي ، افيقي .

ارتعش جفناها بينما كانت تجتهد لتنطق باسمه .

وغشي عليها من جديد .

لم يستطع أن يفعل لها شيئا ، فحقيبة الإسعافات كانت في المنزل الصغير ، ولكي يذهب إلى هناك ، كان عليه أن يحملها ويسبح بها مارا بالشلال .

قال كي يطمئن نفسه :

- سترين ، أن هذا سيجدي .

عندما خرجا من الماء ، وضعها على الأرض برفق ثم فتش في حقيبته واخرج الإسعافات . اخرج بعض كبسولات النشادر وقربها منها . مرت في هذه اللحظة بعض البواخر جعلتهما يهتزان.

قالت وهي تسبح في دوامتها السوداء :

- لاتفعل هذا .

ثم سددت له ضربة قوية قبل أن تستعيد رؤيتها .

- هيه ، إن ضرباتك أقوى من ضربات فتاة .

عندما استطاعت التحكم في نظراتها ، رفعت عينيها إلى "ريلي" ، لقد كان القلق الذي يغطي ملامحه بعيدا تماما عن اللامبالاة التي وصفته بها . وبينما كانت تحاول أن تعتدل مستندة إلى مرفقها ، أجبرها على التمدد بيده وباليد الأخرى كان يفتش في الحقيبة .

قال لها وهو يخرج مصباحا كهربائيا صغيرا :

- احرصي على الا تتحركي . كيف حال رأسك ؟

اعترفت وهي تنظر إليه بضيق :

- آاه ، إنه يؤلمني . إني غبية حقا ، لقد حسبت أني قادرة على فعلها يا "ريلي" .

وتحول صوتها إلى همس :

- كنت أحسب أن بإمكاني أن أصبح أكثر تهورا منك و ... أتمادى في التسلية .

قال وهو يفتح جفونها ليتفحص عينيها :

- ليس المفروض عليك أن تتسلي كثيرا .

- كم إصبعا ترين ؟

- واحدا ... يادكتور "اندرسون" .

- أنا لست طبيبا .

قالت قبل أن تغلق عينيها بسبب الضوء وبعدها تغوص في عينيه :

- لكنك لديك تكوين طبي .

حول عينيه عنها وانشغل بوضع مصباح الجيب في الحقيبة .

اماهي فقد اعتدلت برفق ووضعت يدها فوق جذعه العاري . كل هذا

وهي مستمرة في النظر إليه .

- لقد اعتقدنا أن بإمكاننا أن ننسى من نكون ، أليس كذلك ؟ أنا مدة أسبوع ، أما أنت ، فلا أعرف إلى متى .

- ليس للماضي أهمية يا "ألي" ، الأهم هو ما نكون عليه اليوم .

ألقى نظرة سريعة حولهما ثم قال بصوت مؤثر :

- لن تحركي رأسك كثيرا . هل هذا مفهوم ؟

أخرجت تنهيدة كبيرة :

- لقد كنت أستحق هذا .

سألها :

- كيف ؟

- "ريلي" لقد أجبرت نفسي على إخفاء ... بعض الأمور .

قدم لها عبوة عصير طازج كان قد أخرجها من حقيبة مؤنهما .

- فلنتخل عن آرائنا السابقة ونعد لما نحن فيه .

سألها وقد استعاد قلقه :

- بعض الأمور ؟

- كان ذلك عندما كنت أنا و"سوزان" صغيرتين ، "سوزان" كانت تموت.

سألها دهشا :

- هل سقطت من فوق شجرة ؟

- كلا ، لقد كانت مريضة ، إنها بخير الآن لكنها عندما كانت تمرض بشدة كانت تقول : إنها أرادت أن تكون مثلي . وكان هذا يزيد حبي لذاتي في سن الثامنة . وكلما اشتد مرضها ، كنت أحس أكثر وأكثر أني مسؤولة عنها وأتذكر أني كنت أقول لنفسي : ماذا ستفعل "سوزان" بدوني؟

رفعت "اليزون" ركبتيها ومررت ذراعيها حولهما :

- لقد كانت في حاجة إلي ، ولازالت تحتاجني الآن دائما .

- "ألي" بالطريقة التي كنت تحكين بها يمكننا أن نقول : إنها تحيا بسببك . أنت لم تكوني سوى طفلة صغيرة أنت أيضا ....

- لكن بسببي ، نقلت لها نخاعي العظمي .

دقق النظر فيها دون أن يرمش :

- تكاثر الخلايا البيضاء التي يحتمل تسببها في سرطان الدم .

ابتسمت قليلا :

- نعم .

- يا إلهي يا "ألي" . لقد كنت أجهل هذا تماما .

- أنا متأكدة أن "توني" قد اكتشف أننا دللنا "سوزان" كثيرا ، لكننا كنا نعتقد أن عمرها قصير .

نظرت "اليزون" إلى الجانب الآخر من الحمام . والحبل المعلق فوق سطحه .

- إن الأطباء يؤكدون أنها بصحة جيدة هي وطفلها ، لكن هذا من الصعب تصديقه بعد كل مامرت به .

- لقد كنت قوية كي تتعاملي مع كل هذا . أليس كذلك ؟

- لا أستطيع أن أقول : إني نادمة لأن جزءا من طفولتي قد ضاع مني بسببها ، لأني أجد في حياتها عوضي . "ريلي" إنها أرق وأروع إنسانة يمكنك مقابلتها . وإنها تحب "توني" كثيرا ، مهما كانت المشاكل التي صادفاها ...

- ألم تخبرك بها أختك ؟

أومأت "اليزون" نفيا .

- نعم ، ولانفهم لماذا لم يرد على خطاباتها . عندما استلمت منه واحدا معنونا من فندق "الفردوس" أرسلت له عشرات الخطابات على نفس العنوان . لماذا يجعل حياتها مستحيلة بعدم رده على خطاباتها؟

- "الي" لايوجد اكثر من ثلاثة خطابات وصلت "الفردوس" وكلها وصلت حديثا . قبل مجيئك ببضعة ايام . لكنه لم يستلم ايا منها . في الحقيقة ، ساعي البريد في هذا البلد لايريد ثمن الطابع .

- إن هذا لجنون مطلق ، إذا كان يريد وظيفة جيدة ، فلماذا ياتي هنا ليعيش على هامش الحضارة ؟

ولان "ريلي" لم يقدم اية تفسيرات ، حاولت ان تكتم الأسى الذي ظهر في صوتها لكن بلا فائدة ، لقد كانت مرتبكة .

- انا لا افهم حقا . إنه ....

- لاتقلقي يا"الي" ، انا واثق بان كل شيء سيصبح على مايرام عندما ترين "توني" .

- لكنك لن تتخيل رؤية "سوزان" . وهي حامل في طفلها تتساءل: اين زوجها ؟ تتساءل : هل هو بخير ؟ تتساءل : هل هو حيٍ ؟

تملكتها موجة من القلق .

امسكت "ريلي" بكلتا يديها .

- أوه يا إلهي يا"ريلي" . إنه لم يمت ، أليس كذلك ؟

تمتم بصوت مطمئن وهو يضمها بين ذراعيه :

- بلى ، بلى ، بلى .

ثم اضاف وهو يشعر بتوترها وهي تدفع بنفسها إلى صدره :

- إنه حي وبخير .

- إني اصدقك .

كان يعرف ، من ارتباك صوتها ، انها مازالت متشككة ، لكنه لم يستطع أن يلومها .

ارتباك "اليزون" كان يزعزعه . والاعتراف لها بانه يعرف مكان "توني" لن يتسبب إلا في إثارة أسئلة أخرى عن اشتراكه الشخصي ، عن الأسباب التي تمنعه من الحديث عن اي شيء ، عن التهديد الذي

تمارسه شركة "ديابلو" لاستغلال الغابات ، واسئلة اخرى كثيرة .

وفي الوقت الحالي عليه أن يتجنب الإجابة على هذه الأسئلة باي ثمن .

ومن جهة أخرى . لقد صارحته بكل شيء بطريقة جعلته يهتز داخليا .

لابد ان تجد شيئا تتعلق به .

لابد ان يصارحها هو ايضا .

ابعدها عن صدره ونظر في عينيها :

- "الي" إني افهم تماما ما تعانيه "سوزان" من هذا الغياب .

- أوه ، حقا ؟

- نعم ، لقد قاست أمي مثلها أكثر من اثني عشر عاما .

جلست وابعدت شعرها عن وجهها :

- احك .

- لقد اعلن عن اختفاء والدي اثناء حرب "فيتنام" ، وبمرور الزمن ، فقدت والدتي كل امل في رؤيته مرة أخرى . تزوجت مرة ثانية ربما لأنها كانت تشعر بالوحدة ، أو لأنها كانت في حاجة لمساندة .

لكن هذا الزواج فشل ، وتركت دراستي للطب كي أساعدها .

تبا يا"الي" ! إنك لاتتخلين عن شيء أو عن شخص تؤمنين به .

لو تعرفين كم أحبك لهذا السبب !

- يجب أن أخبرك بشيء يا"ريلي" .

قال وهو يامل بان تلتزم بقوله :

- وبعدها نتوقف على أن نكون جادين ؟

اومات إيجابا .

قالت وهي تشد نفسها إليه :

- إني آسفة من أجل والدك . لكن الآن بعد ما حدثتني عن هذا الأمر ،

أعرف أنك قلت لي الحقيقة فيما يتعلق بموضوع "توني" . وانك ستأخذني إليه إذا استطعت . لانك الوحيد الذي يعرف إلى أي مدى احتاج أن اقابله . إنك طيب جدا يا "ريلي" . وعندما اتذكر اني كنت حذرة منك اتساءل : اين كان عقلي ؟

إنها تثق به . ظل ساكنا لحظة . قبل أن يتملكه الإحساس بالذنب . إنها تثق به الآن ، لكن ماذا لو علمت انه يعرف الكثير منذ البداية ؟ ضمها إليه بقوة ومس شفتيها ثم لامس تورما كان في جبهتها وهذا ماجعلها تنتفض .

– آسف ، لم ارغب في إيلامك .

تمتمت :

– بالتأكيد ، انا أعرف هذا جيدا .

ابتعدت وتاملته وقد اعتلت شفتيها ابتسامة مشرقة :

– إن هذا لشيء رائع . إني اشعر بتحسن كبير الآن بعد أن حكيت لك عن "سوزان" وعني . وانت فهمتني بسبب ماقابلته في حياتك الشخصية . لكنك تبدو متجهما . لقد حسبت اننا اتفقنا على أن نكون جادين .

تاملها طويلا دون أن يرمش . إنه على حافة الاستسلام من جديد . إذا عرفت الآن انه كان يعرف مكان "توني" من البداية ، فسيتحول الحب البريء إلى كارثة .

ومن جهة أخرى فإن المهمة ستنتهي في خلال ايام . من غير المجدي إذن رحيلهما الآن في الغابات الاستوائية بحثا عن "توني" فإنهما سيجدانه في فندق "الفردوس" عند عودتهما وهو يلملم شعر "اليزون" خلف رأسها . قرر أن يشرح لها في آخر لحظة لماذا كان يفضل الالتزام بالصمت .

وتمنى أن تبدو متفهمة في النهاية . حتى النوع الطيب ايضا يعجز

عن الاعتراف في ظروف معينة . وما الضير في أن يقدم لها بعض لحظات اللامبالاة والمتع الغريبة ؟

سالته وهي تمسك وجهه بيديها وتقبله على طرف انفه :

– "ريلي" ؟ هل كنت ستقول شيئا ؟

– لقد أردت فقط أن اقول : إني سعيد لاني وجدت رفيقتي الصغيرة . "واني احبك" .

وهو يشعر بالحدة في عينيها الزرقاوين . تساءل : هل لم ينطق حقا بهذه الكلمات ؟ لكن ماذا ينتظر بالضبط ؟ لماذا لم يقل لها هذه الكلمات ويرى التأثير الذي ستحدثه عليهما ؟

ضحك برقة وكذلك هي . نعم . لماذا لايرتبطان حتى بقية حياتهما ؟ إنها تحبه . حقا إنها لم تخبره بذلك . لكنه يشعر بحبها له .

رفعت يدها – مترددة – إلى جبهتها .

قالت وهي تضع يدها الأخرى على رأسها :

– إن رأسي يؤلمني .

اضطربت .

– أشعر باني طائشة بعض الشيء ...

انسحب صوتها والتصقت به .

"الي" ياحبيبتي ، يجب أن تتوقفي عن إلقاء نفسك هكذا بين احضاني . إن هذا شيء عاطفي اكثر من اللازم .

برغم مزحته هذه ، كان "ريلي" يشعر بقلبه يدق بسرعة .

إذا كانت حادثتها أخطر من المتوقع ، فلن يسامح نفسه ابدا .

اغلقت عينيها مع ابتسامة صغيرة على جانب فمها .

– لاتبدأ استخدام النشادر ، فلم يغش علي ، انا فقط اغلق عيني .

– إن الفراشات أسعد مني لسماع هذا . فعندما فتحت كبسولات النشادر تلك ، طارت على الفور جماعات من الفراشات الزرقاء . كان

سيكفي نفخة صغيرة أخرى من هذا الشيء وتعتقد أني ساعلقها على الحائط .

توقفت عن الضحك فجأة وقطبت حاجبيها من الألم .

قالت وهي ترفع راسها ببطء :

- أعتقد أن كل شيء سيصبح على مايرام بعد عدة دقائق من الراحة.

- سترتاحين كل الوقت اللازم . لاتقلقي . فالمساء لي .

ابتسمت له بتألم :

- لن تتخيل إلى أي مدى أشعر بالندم وأنا أقول لك هذا لكن بالرغم من ذلك : ليس هذا المساء ياحبيبي فالصداع يقتلني .

- إني لم أقصد ممارسة الحب ، بل أردت أن أقول : إني ساسهر عليك حيث إنك تعانين ارتجاجا طفيفا بالمخ . لن أتركك تنامين سوى خمس عشرة دقيقة متصلة .

- لكن ....

قال وهو يقف أمامها قبل أن يذهب لإحضار وجبة خفيفة .

- الاعتراض ممنوع .

شغلها "ريلي" بالحديث عن فندق "الفردوس" لكنه حرص على عدم ذكر "توني كروش" بالمرة ، ودهش لأنها لم تسأل عنه ، حتى نامت ، فوضع حولها - برفق - ناموسية ، ووضع فوقها مصباحا صغيرا ، وراح يتأمل جسدها الرائع - تحت ضوء المصباح - الذي التف في ذلك المايوه الرائع والذي كانت أطرافه الممزقة بفن تمزق قلب "ريلي" .

وراحت التساؤلات تشغله من جديد :

هل ستفهم أنه فضل الصمت كي يستطيع أن يمنحها هذه اللحظات الممتعة ؟ ماذا ستفعل عندما تعلم أنه على علاقة بـ"توني"؟ خاصة بعد أن فتحت له قلبها وحدثته عن أشد المواضيع إيلاما وتأثيرا في حياتها .

دس وسادة تحت رأسها وعاود الجلوس في الضوء الأزرق النيلي ليسهر بجوارها .

لقد تخلت عن مكياجها لكن الشمس جملت بشرتها بهالة من الضوء. وبالرغم من هذا ، فمازالت فاتنة بشعرها الذي أرجعته للخلف بروعة أكثر مما يرتبه مصفف الشعر .

ماذا يطلب أكثر من هذا ؟ أيطلب حلما أفضل من أن تكون "اليزون" ممددة أمامه ، بطبيعتها الساحرة فوق فراش من الأعشاب الزمردية ؟ .

نهض واقترب منها كي يتأملها أكثر . لقد أراد أن يستفيد بكل لحظة حاضرة معها ، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير فيما سيحدث غدا . انهار على الأرض ، دس يده في شعره مستندا بمرفقيه فوق ركبتيه . إذا استمر في التزام الصمت ، فسيكون أمامهما وقت كاف لتأكيد الروابط بينهما كي يمكنها تفهم وقبول الحقيقة .

قالت مصرة في صباح اليوم التالي وهي تساعده على لف الناموسية :

- لكني أريد أن أقفز بالحبل مرة أخرى .

- كلا .

- أعدك بأني سألتزم بتعليماتك هذه المرة . أنا أعرف أن بإمكاني أن أفعلها .

رد :

- لاأشك في هذا لكن قلبي لن يتحمل رؤية رأسك مضروبا مرة أخرى.

قالت بسرعة :

- حسنا ، لكني مستعدة لفعل أي شيء الآن .

- حقا ؟

- ردت :

- حقا .

جلس ومد لها ذراعيه فاسرعت وجلست على ركبتيه .

سالها قبل أن يشم الورقة التي امسكتها بيدها برقة :

- اي بعوضة لدغتك ؟

مررت الورقة حول خديه واذنيه ثم اقتربت منه وعضت طرف ذقنه برفق .

تمتمت :

- انت البعوضة التي لدغتني . إنك مستمتع بهذا . اليس كذلك؟

- بمَ ؟

- بمداعبتي لك حتى تتملكك الرعشة .

رفعا أعينهما إلى السماء وشاهدا أوراقا أخرى تتطاير في الهواء .

- ماذا يحدث ؟

رفعت يديها محاولة التقاط بعضها .

- هل هذه علامات على اهتزاز الأغصان ؟

رد وهو يحاول السيطرة على نفسه :

- كلا . إنك تشاهدين شيئا فريدا . إن قمم الأشجار الكبيرة تزهر على فترات متفرقة وتفقد كل أزهارها خلال اربع وعشرين ساعة .

نهضت وركزت نظرتها فوق كومة الأوراق :

- أوه . يا "ريلي" . كاننا في بلورة كريستالية . انظر إنها تسبح في المياه وتنحدر على سطحها حتى الشلال . ياله من منظر رائع .!

- بطاقة معايدة جميلة . لكن لابد أن تأتي وتجلسي . لابد أن ننتبه إلى ورمك .

- إنك تنتبه "لأورامي" من أول لحظة قابلتني فيها .

مالت امامه وكانها ستقبله لكنها أبعدت بعض البتلات من فوق رأسه .

هز رأسه قبل أن يضمها بين ذراعيه :

- أهذا ماتقصدينه ؟ فلنر .

قالت وهي تسرع ناحية الشلال من خلال الحمام :

- عليك أن تمسكني أولا .

انقلب المقعد الصغير عندما قفز "ريلي" وراءها تحت سيل البتلات المتساقطة .

تداخلت ضحكات "اليزون" المتلألئة مع خرير الماء ، والتفتت وراءها تدرك أنه قريب منها ، وبعدها عبرت ستارة المياه الرقيقة لكنها فوجئت به في أثرها . امال رأسه بسبب الصخرة وتقدم واحتضنها .

- لقد امسكت بك .

داعبت كتفيه وهي تضمه إليها ثم قالت وهي تصيح كي يستطيع سماعها برغم ضوضاء الشلال :

- كلا يا "ريلي" ، إنه انا التي امسكت بك .

وضعت أصابعها على صدره وأمسك هو بيدها وتكلم بقوة اكثر كي تسمعه :

- هذا الورم الذي في جبهتك ، ربما لايجب علينا أن ...

- اعتقد انه لابد من هذا .

- أريني إذن ماذا يمكنك أن تفعليه .

اندفعت "اليزون" تقبل بحرارة كل جزء من جسده ولقد كان تأثير مداعبتها مميتا على "ريلي" .

تمتم :

- فلنمارسه في ضوء الشمس . من أجل خاطري .

لم تتردد ، أمسكته من يده وتركت الظلمة كي تقوده إلى فراش من الأوراق على الأرض .

- "ريلي" ، إني ارغبك بشدة ، وسأكون مستعدة للقتل إذا توقف هذا

الآن .

تأملها "ريلي" وهو يشعر بالنشوة تغمره كليا ، لكن هذا لن يستمر طويلا .

مس وجهها بيده :

- انتظري ياحبيبتي .

لكنها لم تتوقف عن مداعبتها له حتى انتهى به الأمر بالاستسلام .

احتضنها بشدة حتى كاد يعتصرها بين ذراعيه ، رفعت عينيها إليه :

- "ريلي" ؟

- نعم .

- اعرف انني اعتذرت مرة لكني كنت مجنونة حقا عندما تخيلت انك تخفي عني الحقيقة . إنك كنت ستاخذني إلى "توني" إذا كنت تعرف مكانه . هل ستسامحني لاني لم اكن واثقة بك من قبل ؟ ولاني شككت فيك ؟

قال وهو يعتدل :

- أووه يا "آلي" ، دعينا لانتكلم عن هذا الأمر مرة ثانية .

- لكني لا أريد أن أخفي عنك شيئا . إني أشعر بالذنب لاني شككت في نزاهتك .

قال وهو يضمها إليه كي لايواجه الصدق الذي يقرؤه في زرقة عينيها :

- اصمتي .

إنه لم يخش أبدا فقد امراة لكن "اليزون" كانت تعتصر قلبه .

الفصل التاسع

سألت "اليزون" بعدما رجعا إلى قرية "كالامارتو" ، بعد مرور بضعة أيام :

- كيف يمكنني أن أشكرهم ؟ وماذا نفعل لهم كي نعرفهم اننا شاكرون لهم جداً لأنهم سمحوا لنا بالبقاء في الشلالات ؟

رد عليها ببرود :

- ربما يمكنك أن تغني أغنية بسيطة من بلدك . سيحفظونها ويتذكرونها للأبد .

- بجد يا "ريلي" . لن يمكننا الرحيل دون أن نوضح لهم إلى أي مدى تأثرنا بهم .

احتضنت فتاة صغيرة تلك الأخيرة ، بدأت تلعب في شعر "اليزون" ثم دست أصابعها في ضفيرتها .

- سنطلب مقابلة الرئيس كي نظهر لهم أن ضيافتهم أثرت فينا؟

إنهم لا ينتظرون اكثر من هذا .

هدهدت الفتاة الصغيرة :

- من جهة اخرى ، ماذا لدينا لنقدمه لهم ؟

بينما كان "ريلي" متوجهاً إلى غرفة الرئيس امسكت بذراعه :

- لكن ، وانت يا "ريلي" ؟ ماذا افعل لاشكرك .

خفض عينيه واطال النظر إلى الارض :

- لا حاجة لان تشكريني .

وقبل أن يتحرك مرة اخرى جذبته من ذراعه .

ثم قالت بنشوة وهي تشير براسها إلى الطريق الذي اتيا منه :

- لكن ما حدث هناك ، كان مهما جداً بالنسبة لي . اشعر باني تغيرت تماماً .

داعبت ذراعه بسبابتها كما لو كانت تصر على هذه النقطة .

- لا اعرف إذا كنت ستفهم لكن ...

قال مقاطعاً إياها وقد ارتكزت نظرته على معصمها :

- بل اعرف تماماً .

وبعد لحظة عاد ليدقق النظر في الارض .

دلائل الصداقة عند الرحيل اصبحت الآن اعترافاً بالمشاعر .

نظرت "اليزون" إلى الفتاة الصغيرة وهي تجتهد في حبس دموعها وقد اصبح صوتها مرتعشاً .

- كلا إنك لا تعرف . لاول مرة في حياتي ابدو جريئة ، حرة ، لا مبالية . لقد رجعت فتاة صغيرة ولقد كان بجواري اروع رفيق .

وضعت الطفلة على الارض وابعدت اصابعها عن شعرها قبل ان تستدير ناحية "ريلي" :

- وباقي الوقت كان معي اجمل حبيب على وجه الارض .

وضعت يديها فوق جذعه كي تخرج كل ما عندها :

- لقد اعتنيت بي .

اعتقدت لحظة انه سيضمها بين ذراعيه لكنه تنهد وادار عينيه ناحية غرفة الرئيس ، إنه ليس بحاجة أن يقول لها : إنه يحبها ، لانها تعرف هذا جيداً . تعرفه من مداعبته لها ، من ضحكته ، من الطريقة التي يتمتم بها اسمها وتعرفه اكثر عندما تتلاشى هذه التمتمة وتترك مكانها للسحر .

هزّ راسه :

- تعالي ، لابد أن تستعيدي ساعتك .

كانت من قبل ترى في تصرفه إذلالاً وتغضب لذلك ، لكنها الآن تفهمت تصرفه وابتسمت . كانت تغضب عندما يبدو فظاً معها لكنها الآن تدرك السبب ؛ إنه لم يفصح لها عن اسرار حياته الخاصة . فقد كان مشغولاً بسماعها . ولم ينتظر حتى يصارحها لانه لم يكن واثقاً بانها ستتقبل الحقيقة . خاصة الأجزاء المظلمة من حياته مثل الدافع البشع الذي دفعه للإقامة هنا .

تملكتها الرغبة في ان تقول له : إنها مستعدة لسماع ما هو اسوا ، لانها تعرف انه رجل طيب ، وإذا طلب منها البقاء معه ، فستقبل بكل سعادة وتغير حياتها جذرياً ، تفحصت صورته الجانبية الصلبة ، جذعه القوي ، عضلاته الشديدة ، نبل حصانه ، كل هذا الجسد الرائع قبل أن تدرك انها لن تستطيع إقناعه بالكلمات فقط فـ"ريلي" رجل فعل . ارادت ان تقدم له دليلا ملموساً، حقيقياً على انها مستعدة الآن للتلاؤم مع اسلوب حياته . ضغطت على ذراعه كما لو كانت تطمئنه وودعته بحركة من يدها .

- إلى اللقاء . اشكر الرئيس نيابة عني . لا تقلق ، امامي امر

ساسويه .

بعد مرور عشر دقائق ، كانت "اليزون" واقفة امام غرفة الرئيس. وعشرات القرويين يلتفون حولها في نصف دائرة ويتمتمون عن دهشتهم وهم يقتربون . لقد قابلت الموقف الذي اثارته بهدوء . استدارت وهي تحمل هديتها على يدها قبل أن ترفعها كي يتمكن باقي القرويين من رؤيتها .

ظهر "ريلي" وإلى جانبه الرئيس ، ووقف "ريلي" صامتاً عندما راى ما تمسكه بيديها ، لكن الرئيس استمر في الاقتراب منها .

قالت وهي تضع ضفيرتها المقطوعة في يدي الرئيس :

- ترجم كلماتي يا "ريلي" .

هزت رأسها باحترام شديد ونظرت بشدة في عيني "ريلي" :

- قل للرئيس : إن هذه الأيام الأخيرة قد ملأت فراغ حياتي ، وفراغ قلبي . قل له : إني تعلمت الوثب والسقوط من فوق الشجر بالحبل . وقل له : إني عشقت تلك اللحظات الرائعة .

بينما كان "ريلي" يسرع في الترجمة ، استدارت "اليزون" واتجهت ناحية زورقها . قالت لنفسها وهي تشعر بالنصر : "إذا كان لم يعرف من قبل . فلابد انه يعرف الآن ، يعرف أن هذه الرسالة كانت موجهة إليه ، واني احبه" ولانه كان يعرف ، بإمكانها ان تصبر ، اما الخطوة القادمة فعليه اتخاذها .

انضم إليها وانشغل برص اخر مؤنهما وسط الزورق .

لاحظت تعبير الحدة الذي يبدو على "ريلي" . لقد كان ماخوذا تماماً بافكاره .

- الن تقول شيئاً ... عن شعري ؟

قرر أن يسالها وهو يتحقق من صلابة عقده :

- كم عدد أقداح القهوة التي تناولتها هذا الصباح ؟

إنه يحاول تصغير رسالته لكنها لم تسمح لنفسها باستلامها فقد كان الأمل يملأ قلبها .

- موضوع انشغالك بشعري ليس له اية علاقة باقداح القهوة التي تناولتها . لقد تصرفت بتلقائية وليس باستخفاف عندما قررت ان اترك جزءاً مني هنا .

- اليس استخفافاً ؟ حسنا ، يهيا لي أن بإمكاني ان اعهد إليك بساطوري دون خوف . ساعتها انام وانا لا اخاطر بفقد اي شيء مني.

- ذيل حصانك لا يعتبر مخاطرة .

- من قال : إني اتكلم عن ذيل حصاني ؟

عضت على شفتها كي تمنع نفسها من الانفجار في الضحك لكنها عندما تركتها افلتت منها ابتسامة .

- إنك تجدين دائماً ما تضحكين من أجله ، لقد فهمت !

- وهذا سبب سحري .

ربت حافة الزورق .

- هيا ، تعالي .

بمجرد أن استقرا في القارب ، تدافع القرويون لرؤيتهما ، وبينما كان "ريلي" يجدف للانطلاق وسط النهر ، كانت "اليزون" تودعهم وهي تلوح بيدها حتى اختفيا عن الأنظار .

ولقد ادهشته وهي تتفحص شعرها .

قالت برقة وهي تمرر يدها في شعرها :

- "ريلي" ، انا لست نادمة على هذا .

وبللت يدها بالماء ثم مسحت على راسها .

ارتبك "ريلي" لكنه استمر في التجديف وكل منهما ينظر إلى الآخر

بشدة ، في النهاية خفض عينيه وقرر أن يتكلم .

– بما أننا نتكلم عن التقصير فلابد أن تعرفي يا "آلي" أن إقامتنا في الشلالات امتدت يوما أزيد من المتوقع .

وضعت "اليزون" يديها على فمه :

– أوه ، لقد توقفت عن حساب الأيام .

– أما أنا فلا . يمكنك أن تقابلي "توني" خلال أيام .

– رائع .

– أحقاً ،؟

هزت كتفيها .

– إني أثق بك وأعرف أنك لا تستطيع الكذب عليّ .

لم يعد "ريلي" يعرف إلى أي جهة ينظر .

– إن "توني" لابد أن يعود مباشرة إلى "الفردوس" ، وأثناء مرورنا سنأخذ "شيكو" ونعود بسرعة .

اعتنت باختيار كلماتها كي تبدو مختصرة وإذا كان من الممكن تبدو مريحة أيضاً .

لسوء الحظ . "ريلي" لم يطمئنها كثيراً .

قابلا "شيكو" في اليوم التالي ، وغادروا "بوكالي" على أول مركب. ظل "ريلي" يتأمل "شيكو" و"اليزون" وهما جالسان أمامه وأدرك كيف مرت الأيام بسرعة وأن الأمور لم تسر كما كان يتمنى.

انشغل بمداعبة "تيت دوبيوش" وإطعامه الفاكهة حتى تقدم إليه "شيكو" تتبعته "اليزون" . صاح الصبي :

– "ريلي" ، لابد أن تسمع هذا ، قولي له يا سيدتي ، أخبريه كيف يمكننا أن نحضر والدي هنا .

قالت وهي تلف حول قفص مليء بالببغاوات :

– إنها فكرة بسيطة . أولا نستأجر والد "شيكو" كي يطيل الرصيف الذي أمام فندق "الفردوس" . بعد ذلك بعدما ينتهي الرصيف سيمكن للبواخر أن تركن فيه وتنزل المسافرين .

قال "شيكو" :

– نعم يا "ريلي" لابد أن تفعل هذا ، إن الناس تدفع لك نقوداً كثيرة ، استمري يا سيدتي ، قولي له .

– في خلال هذا الوقت ستنشغل بالقيام ببعض الأعمال وسيساعدك والد "شيكو" ، ستضيف بعض الحمامات وربما بعض الغرف الأخرى في الوسط . وستزداد أعمالك بشدة ووقتها ستحتاج إلى موظفين .

داعب ذيل القرد وجلس على كرسي طويل .

– كنت أحسبك تكرهين فندق "الفردوس" .

– لقد كانت تكرهك يا "ريلي" ، لكنها تغيرت ، إنها تحبك الآن كثيراً وترى أنك رجل طيب القلب .

ثم سألها وهو يرفع عينيه ناحيتها :

– أليس هذا حقيقياً يا سيدتي ؟

قالت وهي تنظر إلى "ريلي" بشدة :

– نعم إني أرى أنك مخلوق طيب يا "ريلي" . وفيما يتعلق بفندق "الفردوس" ... برغم كل شيء ، لابد أن أعترف أن هذا المكان له بعض السحر .

تمددت فوق كرسي طويل وتنهدت ثم أغلقت عينيها .

– فكر في هذا المشروع .

لقد قالت له فكر ، إنه يشعر بأن رأسه سينفجر والتزامه بالبقاء ثمانية شهور في "سان رافاييل" من أجل "تيلور فار ماسوتيك" ، كانت آخر شيء يتمنى فعله .

لكن من ناحية اخرى ، كان ينوي تجديد الفندق . إن لديه سببا معقولا للبقاء ، وعاجلاً ام اجلاً ، إذا تضخم المشروع ، فالشركة ستمده بالموظفين . وبوصفه سيديره لن تكون امامه مشكلة في السكن . وإذا استمرت "اليزون" في الظهور متفهمة هكذا فستكون فكرة مجنونة ورائعة ان يمارس زوجان حياتهما في مثل ذلك المكان . ماذا سيخسر ؟ بل بالعكس ، إذا طبق فكرتها عملياً ، فسيصبحان متساندين وربما وقتها تتقبل فكرة انه كان يخفي عنها شيئاً .

قطب "ريلي" حاجبيه بسبب الشمس وهو يراقب الصبي وهو يقفز فوق صف الكراسي الشاغرة .

قال لـ"اليزون" بهدوء :

– منذ ان بدات الـ"ديابلو" في تجريف الادغال لاجتذاب العمال والعائلات في "سان رافاييل" تعيش ماساة . وبالرغم من ذلك ، فالمرء لا يرى سوى اطفال بعيون حزينة لكني اعتقد ان الشيء الاكثر حزناً هو وجوه الزوجات . ليس من العقل ان نفصل اعضاء الاسرة الواحدة شهورا عدة ، حتى لو كان العائد المادي مغرياً .

هز رأسه وهو يفكر في حالة الواقع الماساوي .

– هل تتخيلين ان هذا من اجل "شيكو" وإخوته ؟ او من اجل والدته التي تشعر بالياس لغياب زوجها ؟

ادرك فجاة لكن متاخراً . لم يحاول ان يخفي اضطرابه .

ادارت "اليزون" راسها ناحية "ريلي" لكنها ابقت عينيها مغلقتين بسبب الشمس .

– انا افهم بالتاكيد . لقد ظلت اختي تعاني هذا عدة شهور .

هاتان الشفتان ، هذا الفم ! إنها تستطيع القيام بالمعجزات .

حك جبهته ونادى الصبي بإشارة من يده :

– "شيكو" .

عبر الولد الجسر وهو يحجل بقدم واحدة .

– نعم .

– متى ينتهي عقد عمل والدك مع الـ"ديابلو" ؟

– والدي ليس له عقد عمل لانه لا يقطع الاشجار .

– هل تعتقد انه سيوافق ان ياتي للعمل معي ؟

– نعم .

القى "شيكو" نفسه على "ريلي" وقبض يديه .

– هل ستفعلها ؟ هل ستجعله يعود ؟

فتحت "اليزون" إحدى عينيها .

ازدرد "ريلي" لعابه .

– يجب ان اتاكد اولاً من بعض الاشياء لكن هذا يبدو لي ميسوراً .

توقع "ريلي" ان يرى الصبي يطير فرحة . يقفز ، يتشقلب . ان يراه يصرخ ويصيح في كل المسافرين . لكنه لم يتوقع ان يرى الدموع تملأ عينيه البنيتين الواسعتين . القى الصبي راسه على صدر "ريلي" وقال منتحباً :

– شكراً يا "ريلي" ، إنك رجل طيب .

اعتدلت "اليزون" ووضعت قدميها على الارض ثم داعبت ظهر "شيكو" وهي تنظر إلى "ريلي" :

– هل تدرك ان هذه قد اصبحت عادة كما اتمنى ؟

– ماذا ؟

– تحقيق احلام الطفولة .

كان عليه ان يصمد امام عينيها على الاقل فترة ، وان يحتفظ بكل وضوحه إذا كان يرغب في ان تمر مقابلتهما بـ"توني" على خير هذا

المساء . مال وقبلها بحنان لحظة .

قالت وهي تربت خده متنهدة :

- أوه يا "ريلي" . لن تتخيل إلى أي مدى أعشق كمالك .

ابتسم "ريلي" ابتسامة مبهمة . لقد ألصقه الشعور بالذنب بالكرسي، مهما حدث ، فلن يكون الوضع كما كان من قبل . لن يجد السكينة في هذه الجنة .

بسبب خرير الطائرة المائية صاحت "اليزون" ليسمعها :

- إني أراه يا "ريلي" ! أرى "توني" .

كانت مثارة تماماً لدرجة أنها كانت تخبط على فخذيه .

- انظر ! لقد أطلق لحيته .

غاص في مقعده كي لا يواجه نظراتها واقتربت هي من النافذة ولوحت بيدها .

- إنه لا يعرفني يا "ريلي" ، لابد أنها ستكون مفاجأة له .

هز رأسه بهدوء :

- اعتقد أن كليكما سيقابل مفاجأة .

بعد مرور عدة دقائق ظهر "توني" :

- "اليزون" ؟ ماذا تفعلين هنا ؟ هل هناك مشاكل مع "سوزان" ؟

قالت وهي تحتضنه :

- كلا ، إنها بخير تماماً .

اتجه "توني" إلى "ريلي" وصافحه بحرارة وهو مرتبك :

- كيف تأتين إلى هنا يا "اليزون" ؟ ماذا حدث ؟ وماذا فعلت بشعرك ؟

- إن "اليزون" هنا بشأن ... موضوع عائلي يا "توني" .

- موضوع عائلي ؟

مرر يديه في شعره وسقط على كومة تراب الردم :

- أعرف ، "سوزان" تريد الطلاق .

جثت "اليزون" على ركبتيها وابتسمت :

- "توني" ، إنها تريد أن يعود أب المستقبل لمنزله .

رفع "توني" رأسه ، ونظر إلى "اليزون" ثم إلى "ريلي" ثم ركز عينيه على "اليزون" مرة أخرى :

- طفل ؟ هل هي حامل ؟ هل سأصبح أباً ؟

عقد "شيكو" ذراعيه وهز رأسه :

- لقد فعل والدي نفس الشيء عندما أخبرته أمي أنها حامل . سأعود إلى منزلي .

جرى على طول الرصيف ثم استدار :

- شكراً لكما .

التقط "توني" يدي "اليزون" وشد عليهما .

- "سوزان" بخير ، أليس كذلك ؟ هل هي حقاً ... بصحة جيدة ؟

- إنها بكامل روعتها .

كرر على "ريلي" :

- سأصبح أباً .

وهو مازال مثاراً ، استدار مرة أخرى إلى "اليزون" :

- منذ متى هذا الأمر ؟

ضمت كلتا يديها أسفل ذقنها وابتسمت :

- خمسة شهور .

نهض أب المستقبل المبتهج ، وأمسك بـ"اليزون" وظل يرقص معها ويدور حول كومة الحقائب .

- خمسة شهور ! لقد كان عليَّ أن أرجع منذ وقت طويل .

ردت "اليزون" :

- هذا صحيح ، ماذا كنت تفعل هنا إذن ؟

لم تفتها ملاحظة النظرات المتبادلة بين الرجلين :

- حسناً .

- لقد كنت أقوم ببعض الأبحاث عن الأرض لشركة أدوية .

وكان هذا الأمر بالغ السرية . وسأنهيها في خلال أسبوع أو اثنين بعدها أرجع إلى "سوزان" .

نظر إلى "ريلي" .

- لدينا أمور كثيرة نحتفل بها ، هل لديك زجاجة شراب .

تأملهما "توني" وقد جعله الفضول يسبل عينيه :

- أين ذهبتما أنتما الاثنان ؟

أحس "ريلي أنه مرهق من جديد . هذا المزاج لن يستمر طويلاً.

- لقد تسلينا بطريقة رائعة يا "توني" .

اجتازت المسافة التي تفصلها عن "ريلي" وأمسكته من ذراعه وهي مستمرة في الحديث :

- لقد ذهبنا إلى كل مكان ، عشنا في كوخ بالغابة ، وركبنا الزورق في نهر لا نعرف له اسما وتسلقنا الجبل ونحن نحمل فوق ظهرينا حقائب ثقيلة ، لن تتخيل هذا أبداً .

ضربت "ريلي" على مؤخرته :

- ومن يصدق أني استطعت أن أقوم ببعض الألعاب البهلوانية متعلقة في طرف حبل ؟

قال "ريلي" وهو يرفع ذقنه ليضايقها :

- وأي ألعاب بهلوانية ! هو هو !!

كانت عيناها الزرقاوان تلمعان من الإثارة وهي تحكي عن مغامرتهما. وكان هو متفائلاً ربما يمكنها أن تفهمه أو على الأقل لأنه

إن لم يكن الحب هو سبب البريق الذي يلمع في عينيها فإنه يستحق الموت بالملاريا .

- لقد سقطت من فوق الشجرة ، وكان عليَّ أن أنقلها إلى الكوخ.

- يا لها من مهمة !

ابتعدت عنه واستدارت ناحية صهرها وهي تضع يديها على ردفيها.

- نسي أن يقول لك : إنه أثناء عبورنا النهر حتى الكوخ كان رأسي غاطساً تحت الماء .

- كم من الوقت مر عليك هنا في "سان رافاييل" ؟

هزت كتفيها :

- أسبوع أو اثنان . لقد فقدت الإحساس بالزمن هنا .

أعني أننا بعدما غادرنا "بوكالي" ودخلنا إلى الغابات ...

- "بوكالي" ؟ "ريلي" لماذا لم تحضرها إليَّ ؟

تغير تعبير وجهها بسرعة . وتملكها الاضطراب :

- كيف ؟

تقدمت خطوة ناحية "توني" .

- لقد كنت تتنقل باستمرار وقد فشلنا في لقائك أكثر من مرة .

"ريلي" لم يكن يعلم أين أنت .

- كيف لم يكن يعرف ؟ لقد كنت ملتصقاً بالمجهر ، وهو الذي قادني إلى هناك ، ولقد مرت ثلاثة أسابيع ولم أره .

ابتسم إلى "البزون" ثم أكمل :

- وأعتقد أني عرفت السبب ، وهو أنه كان مشغولاً جداً .

أطالت النظر إلى "ريلي" وهي مشدوهة :

- هل كنت تعرف مكانه ؟

داعب "ريلي" ذيل حصانه :

- ساشرح لك الامر يا "الي" .

قال "توني" :

- اسمعا ، انا لا اعرف ما الذي حدث بينكما ، لكن الشيء المؤكد ان بينكما امراً لابد من تسويته . ساترككما على انفراد بعض الوقت .

لم يرد اي منهما وابتعد "توني" .

- حسناً ، الوداع .

امسكها "ريلي" من كتفيها :

- "الي" .

قالت وهي تتراجع وتبعد يديه عنها :

- لا تلمسني ، لا تقترب مني .

- اعرف انه كان ينبغي عليَّ ان اسوي هذا الامر من قبل لكن ... لم تعر دبلوماسيته اي اهتمام وهاجمت :

- هل كنت تعرف مكان "توني" كل هذا الوقت ؟ هل كنت تستطيع ان تاخذني إليه ؟ قل ! لقد كنت تعرف كم كان مهماً ان اقابله ! . وكان باستطاعتك ان تفسر لي الامر ... على الاقل الف مرة !

قفزت فوق الحقائب واصطدمت بالطيار الذي كان يصعد طائرته .

- "الي" يا حبيبتي لقد حدث بيننا شيء مهم ولم اكن لاعرف ...

- شيء مهم ؟ انا لا اعرف عم تتحدث ؟ لقد كان كل هذا من وحي الخيال .

- من وحي الخيال ؟ هل جننت ؟

قالت وهي تمسك بحقيبة ظهرها :

- بالتاكيد ، لكني جننت الآن اكثر .

- سنتناقش في هذا الامر يا "الي" .

بينما بدا المحرك في الدوران علا صوت "ريلي" وكذلك صوتها :

- إننا قادران على الكلام .

صاحت وهي تجتاز الجسر العائم :

- بل إنك موهوب في الكذب !

طرقت باب الطائرة بشدة وصاحت في الطيار :

- انتظر ! خذني بعيداً عن هنا .

- لكن ماذا تفعلين ...؟

امسكها "ريلي" من ذراعيها لكنها دفعته .

سالها وهو يشير إلى النهر :

- هل نسيت ما حدث بيننا هناك ؟

- لم يكن هذا سوى حلم طفولة ايها الكاذب الدنيء ....

لم تصل الدموع التي كانت تملأ عينيها إلى خديها فلقد منعت ظهورها مروحة الطائرة . وغطى صوت . محركها على صوتها دفعت شعرها بعيدا عن جبهتها وصاحت :

- لا اصدق اني قصصته . لابد انني كنت بلهاء !

توقفت عن الصراخ لتدرك ان حنجرتها تؤلمها . وعن الكلام ، لا من عقلها ولا من قلبها . لم يعد هناك شيء يقال .

قفزت داخل الطائرة وصفعت الباب خلفها .

- إلى اين انت ذاهبة يا سيدتي ؟

- إلى ابعد مكان ممكن عن "ريلي اندرسون" .

نظر إليها الطيار ببلاهة :

- "ريلي" يريد محادثتك ، هل انت واثقة بانك لا تريدين ...

قالت وهي تمسح دموعها بخشونة :

- اقلع إذن او اقسم لك اني ساخذ مكانك واقودها بنفسي .

- حسناً يا سيدتي .

الفصل العاشر

قالت "اليزون" لأختها وهي غائصة في الأريكة وقد لفت ذراعيها حول ركبتيها :

- ما كان ينبغي عليَّ أن أحدثك عن "ريلي اندرسون" ابداً ، إن لديك من الهموم ما يكفيك .

راقبت اختها وهي تضع منديلاً ورقياً فوق انفها .

واضافت قبل أن تتمخط :

- يجب عليَّ أن اعتني بك . لقد كنت دائماً منشغلة عنك .

ملأت "سوزان كروش" قدحاً من الشراب واضافت إليه بعض العسل قبل أن تقدمه لأختها .

قالت وهي تداعب بطنها المنتفخ .

- متى ستفهمين أن باستطاعتي تحمل المسؤولية في هذه العائلة ؟ لقد كان هذا الأمر عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري لكني لا اكذب

عليك ، انا اشعر باني افيض بالحيوية عندما اتذكر ان هناك شيئا يشغل تفكيري . لكن حدث شيء . أثناء مرافقتك لملك الغابة هذا ، الم تفكري بان تاخذي حذرك قليلاً ؟

تاملت "اليزون" بطن اختها واحست بغرابة بانها محبطة . وضعت قدحها ثم اعتدلت وتنهدت :

- إني لم احي حياة خالية من المسؤولية بهذا الشكل من قبل . لقد قال لي مديري : إنه المرة القادمة سنتحدث معا عما تعنيه الإجازة .

- من الواضح ان الإجازة المقصودة، ليست إجازة "كوستاريكا" ، استمري ، إني منصتة .

لوحت بذراعها في الهواء :

- كلا ، لم يعد لدي ما اقوله عن "ريلي اندرسون" سوى انه كذاب ممتاز .

- كل هذه القصة تخفي وراءها شيئاً . لا استطيع ان اصدق ان اختي المتزنة الواضحة ، العاقلة تقع في غرام لاعب ورق تافه لمجرد انه يبدو وسيماً في "تنورته" .

- لقد قلت : إني اعتقد فقط انه إذا لبس "تنورة" فستبدو رائعة عليه، الم اخبرك كيف يقلد اصوات الطيور ؟

غاصت "اليزون" في الأريكة من جديد وغطت وجهها .

قالت وهي تجذب خصلات شعرها :

- لا استطيع ان أصدق اني استطيع الكلام عن هذا مرة أخرى، لكن ماذا جرى لي ؟ إني لم اعد استطيع الاختباء وراء شعري .

- إنك تعشقينه يا "الي" .

اعترضت بضعف :

- كلا ، هذا مستحيل . لابد اني مجنونة تماماً . لكن اين كان عقلي ؟ تلاشى صوتها .

نهضت واتجهت إلى غرفة الطفل باحثة عن إجابة على سؤالها .

- لا اعرف ، ربما كنت افكر في سعادتك الزوجية . لكني بالفعل لا ينقصني شيء حتى افكر في هذا .

عقدت ذراعيها حول صدرها :

- لقد حكيت له ... عن الكثير من الأشياء . لقد كنت صادقة معه يا "سوزان" . كنت اعتقد انه يدرك أهمية الأمر بالنسبة لك . وكان مقتنعاً، أؤكد لك . ولهذا السبب لا يمكنني ان أعرف لماذا لم يخبرني بمكان "توني" .

لا يوجد شيء يجب أن تعرفه فيما يخص "ريلي" سوى أنها لابد أن تتوقف عن الحديث عنه ، التفكير فيه والندم عليه ، مررت يدها في شعرها ثم ابتعدت عن حجرة الطفل واجتهدت كي تبتسم.

- في النهاية ، لقد تحقق هدف رحلتي وسيرجع "توني" . لقد كاد يطير من الفرحة عندما علم بأمر الطفل ، لابد انه ندم على تركك .

- "توني" لم يتركني ، انا التي طلبت منه الرحيل .

ارتبكت "اليزون" :

- اتعرفين لقد صدقت لحظة انك قلت : إنك طلبت منه الرحيل ؟ ساد صمت غريب في الحجرة .

- "سوزان" ؟

لأن اختها كانت تنظر إلى الكرسي المواجه لها ، جلست عليه .

- لقد ذهبت إلى "سان رافاييل" لكي اعثر على "توني" من اجلك...

- انا لم اطلب منك الذهاب هناك ابداً .

- لكنه ...

- ولم يسالني احد عما دار بيني وبين "توني" ، واعتقد الجميع ان "توني" قد فقد السيطرة على الوضع وأن المسكينة الصغيرة "سوزان" تجد نفسها وحيدة .

رفعت حاجبيها والقت نظرة سريعة على قميصها الفضفاض وهي تبتسم بخبث .

قالت "اليزون" وهي تلوح بمنديلها كي تحثها على الاستمرار في الحديث :

- لا تتوقفي عن الحديث الآن .

- حسناً ، وبفضل نخاع عظامك استطعت الشفاء من "اللوكيميا" . والمشكلة الوحيدة هي أن الجميع لا يستطيعون إدراك ذلك . لكنه "توني" ايضاً لم يصدقني عندما قلت له : إني في صحة جيدة ، وإني قادرة تماماً على ممارسة حياتي طبيعياً .

امسكت بيدي "اليزون" وشدت عليهما :

- إني مخنوقة تماماً . كان ينبغي علي أن اتصرف بطريقة غريبة كي اجبر "توني" على فهم هذا . لكني - ببساطة - لم احسب انه سيسافر للخارج .

هزت "اليزون" راسها ببطء :

- إني أفهمك .

- ارجوك لا تسيئي فهم هذا . لكني لم اعد على حافة الموت ، إني بخير تماماً . واعتقد ان الأمور كلها ستصبح على مايرام بيني وبين "توني" . واتمنى أن يعود .

قالت "اليزون" برقة :

- إنه عائد قريباً جداً .

تاملت "سوزان" كما لو كانت غريبة عنها ثم استندت إلى مسند الأريكة :

- إنك راشدة تماماً الآن ، اليس كذلك ؟

ردت "سوزان" وهي تمسك بيد "اليزون" وتضعها فوق بطنها :

- لابد من هذا . هل تحسين هذا ؟

ركل الجنين ركلة قوية في بطن امه ، ورفعت "اليزون" عينيها من الدهشة .

- شيء لا يصدق .

- لا أطيق صبراً على مشاركة "توني" هذه الأشياء الجميلة . انفتح الباب من خلفهما :

- و "توني" أيضاً لا يطيق صبراً ، صباح الخير يا حبيبتي .

ألقت "سوزان" نفسها بين ذراعي "توني" ، وظلا يتحدثان بعطف وكل منهما ممسك بالآخر كما كانت تحلم "اليزون" .

لقد شق هذا المشهد قلبها ، جعلها غيورا ، حزينة وسعيدة في نفس الوقت . حتى إن كانت اكتشفت أن "ريلي" أهل للرثاء ، فلقد أدركت الآن إلى أي مدى تفتقده وها هي بدأت تندم فجأة على فقده ، قالت لنفسها:

" إنها لابد أن تخرج من هنا قبل أن تبدأ في البكاء" .

قال "توني" لزوجته :

- إنك رائعة الجمال ، أليس كذلك يا "اليزون" ؟

أومأت موافقة وهي تتجه ناحية الباب :

- تماماً ، ساترككما وحدكما .

عندما مرت بالقرب منهما جذبها "توني" بيده :

- انتظري ، لدي رسالة لك .

- إذا كانت من "ريلي" ، فإنها لا تهمني .

قبض على معصمها :

- اسمعي إذن ما لدي لأقوله لك .

- كلا يا "توني" . إنك بحاجة لأن تنفرد بزوجتك .

نظر "توني" إلى زوجته :

- إني أدرك هذا جيداً ، وأؤكد لك أنك عندما تنصرفين سيغلق هذا الباب بالمفتاح مدة شهر . اسمعيني إذن .

- انتهى الأمر يا "توني" ، لابد أن ألقي بكل هذا وراء ظهري .

- لقد كان عندي عمل بالمقاولة لـ "تيلور فارماسوتيك" .

- لقد أخبرتني "سوزان" أن لك حسابا بالبنك ، ومهما كان رأي عائلتنا فيك ، فنحن نعلم أنك لن تتركها تموت جوعاً .

- ليس هذا ما قصدته ، "ريلي اندرسون" يعمل مع "تيلور فارماسوتيك" دارت عينا "اليزون" دهشة .

قالت :

- أتساءل : لماذا استأجروه ؟ لا يمكن أن تقول : إنه يقتل نفسه في وظيفة في فندق "الفردوس" ؟

- فندق "الفردوس" ما هو إلا غطاء له .

قالت "سوزان" عندما أدركت أن أختها لا تستطيع النطق :

- ماذا تعني ؟

- منذ حوالي عام ، ترك المنطقة فريق من علماء النبات الألمانيين عندما اختفى أحد الرجال .... شركة الـ "ديابلو" لاستغلال الغابات لا تريد أن يستغل شمال الغابات الاستوائية في البحث العلمي . وبينما كنت أبحث عن فصائل البروماليات لإقناع حكومة "سان رافاييل" بضرورة حماية المنطقة ، كان "ريلي" يعمل لحمايتنا .

ترك "توني" قبضة "اليزون" واحتضن زوجته ليطمئنها :

- لقد كنت معتمداً على "ريلي" كلياً . إنه رجل طيب يا "اليزون". رجل طيب ، أليس هذا ما قالته عنه من قبل ؟ وأنه كامل ؟

حكت عنقها ثم رفعت ذراعيها للسماء .

سألت ، وقد أصبحت - فجأة - ثائرة الأعصاب ومرتبكة :

- لماذا لم يخبرني بكل هذا ؟

قال "توني" وهو ينظر إلى زوجته بحنان :

- لا يمكنني أن أجيب بدلاً عنه .

مس شفتي زوجته :

- لكني كنت سافعل شيئاً لو كنت مكانك .

قالت "اليزون" وهي تجتهد لمعرفة مصدر غضبها:

- أسفة ، لابد أن أعود لمنزلي لأرتب افكاري . وساترككما وحدكما .

- إن ما أردت قوله ، انني لو كنت مكانك لم إكن ساضيع وقتاً كثيراً كي تحقق رسالة "ريلي" هدفها .

- حينما سالته : هل ساراه قريباً هنا ؟ قال لي : إنه لا ينوي العودة إلى هنا قبل مدة طويلة .

سالته وهي ترتعد :

- أوه حسناً ، واين هو ؟

هز "توني" كتفيه :

- في أي مكان يعجبه . عند "تيلور فارماسوتيك" في إجازات الملايين، إذا كنت تريدين ...

قالت قبل أن تندفع على حقيبة يدها :

- "سوزان" ...

أعلنت "سوزان" وهي ترى أختها تقبلها من بعيد :

- ساتصل بمكتبك . حظاً طيباً .

قالت "اليزون" قبل أن تخرج مسرعة وتغلق الباب وراءها :

- لقد سعدت بعودتك يا "توني" .

لقد تنبات "اليزون" بكل أشكال الحوارات التي ستدور بينها وبين "ريلي" اثناء رحلة الطائرة ، وتخيلت ردوده عليها . كلما اقتربت من فندق "الفردوس" ، احست بان اضطرابها يتضاعف .

تمتمت وهي تصعد الدرجات :

- مشاجرة بين عاشقين .

تملكت نفسها عندما لمحته ، وانتابتها رغبة مفاجئة أن تلقي

بنفسها في احضانه ، لكن الخوف كان يعتصر معدتها ، قفزت الدرجات وهي تشعر بجفاف حلقها ثم عبرت الشرفة وتوقفت على بعد بضعة امتار .

كان مسترخياً في ارجوحته وقد ارتدى ملابسه لكنه لم يدهش لرؤيتها .

قالت وقد تغلب الضحك عليها :

- هذا يذكرني بشيء ما .

تحرك ونزع يديه من خلف راسه .

- كلا ، لا تتحرك ، واترك هذه القبعة على وجهك فلست مستعدة بعد لمواجهة عينيك . هل هذه قبعة جديدة ؟ اعتقد انها استرالية .

عقدت يديها . هل ستظل تمزح طيلة النهار ؟ وكإجابة عن السؤال ، حثتها صاعقة على الكلام .

- اسمع ، لابد أن اقول لك هذا ، لقد نعتك بكل الصفات السيئة لكني لا اعتقد أن أيا منها فيك .

اقتربت وجثت بالقرب من الأرجوحة . مررت يديها عليه :

- مازلت أحلم بتلك الليالي الرائعة التي قضيناها معاً في الكوخ والوقت الذي قضيناه في الحمام .... خاصة ما حدث بجانب الشلال .

قالت كل هذا وهي ترفع حافة القبعة ببطء واستسلمت لعاطفتها:

- إنك كل أحلامي يا "طرزان" ، اوه ...

قالت متعجبة وهي ترى الرجل ذا الشعر البني يبتسم لها :

- إنك لست "ريلي" .

- بل لست "طرزان" .

حل الضيق محل دهشتها بينما كانت تتامل ذلك الوجه الوسيم ذا العينين الزرقاوين . كان باستطاعتها أن تشعر ببعض العاطفة تجاه هذا التعبير المرح وهاتين العينين الغريبتين ، لكن "ريلي أندرسون" كان

مستحوذاً على كل جزء في كيانها .

- اين هو ؟ اين "ريلي اندرسون" ؟

لم يجبها ذلك الرجل فتملكها الغضب :

- إنه هنا على الأقل . أليس كذلك ؟

- انا هنا .

استدارت فرأته في النافذة على بعد بضعة امتار ، مستنداً إلى الحائط وقد عقد ذراعيه فوق قميصه الذي فتحت ازراره ورات عينيه مركزتين عليها . لقد حصل عليها بالفعل مرة ثانية . حتى لو كانت ترغب في ان تشعر بنفسها بين ذراعيه فهي ترغب ايضا ان يستمر حقدها عليه ، لقد بدا اكثر وسامة عما كانت تتخيله في أحلامها ، لكن هذا لا يعني الكثير . خفضت عينيها على شورته الكاكي القصير واحست بان حنجرتها قد عقدت .

- منذ متى وأنت تراقبنا ؟

قال وهو يضع قدمه العارية على حافة النافذة :

- الوقت الكافي الذي يجعلني ارغب في سماع ما قلته الآن . نظرت له بغضب :

- هل تتركني اتحدث كل هذا الوقت عن اشياء "متعمقة" إلى ...

اشارت إلى الأرجوحة :

- من هذا ؟

قال الغريب :

- "جاك ستراتفورد" ، هل هي جزء من الفندق يا "ريلي" ؟

رد كلاهما في نفس الوقت :

- كلا .

قال وهو يعيد قبعته على وجهه :

- كان عليَّ أن أشك في هذا .

ارادت "اليزون" أن تصدق أن باستطاعتها الاستمرار في النظر بشدة لـ"ريلي" حتى تترك وجهه هذه الابتسامة الخبيثة ، ثم ظهرت الأختان "بارتولينو" ، السيد "جارفيلد" ، والمبجل "فيليب" على الجانب الآخر من النافذة ثم اتى "شيكو" مسرعاً وهو يحمل مطرقتين في يديه .

بدءوا يتكلمون جميعاً في نفس الوقت :

- لقد سررنا لرؤيتك .

- عندما سمعتك تصرخين قلت لوالدي : "لقد عادت السيدة ، ربما لتحضر لي إكرامية" .

وافقته "اليزون" :

- نعم لقد احضرتها .

- حمداً لله على عودتك .

- خيراً فعلت يا آنستي الجميلة .

حيتهم "اليزون" ثم اسندت يديها على صدر "ريلي" .

مال على وجهها ببطء وفتنها بابتسامته .

قالت وهي تصارع الرعشة التي تملكتها :

- انتظر ، إنك مدين لي ببعض التفسيرات . أليس كذلك ؟

قال وهو يضمها إليه :

- ينبغي عليَّ ايضاً ان اقبلك وساشرح لك فيما بعد .

تراجعت وهي ترفض أن يتمادى في ذلك الشيء اللذيذ الذي بداه .

- فيما بعد ؟

بدات الأختان "بارتولينو" في التافف .

اسقط "شيكو" المطرقتين وسد اذنيه .

تحدث المبجل "فيليب" عن جمال اللحظة .

دندن السيد "جارفيلد" :

"جعلني الحب حنوناً" .

ورفع "جاك ستراتفورد" قبعته عن وجهه ثم وضعها مرة أخرى .

غاصت "اليزون" بنظرتها في عيني "ريلي" واختفى الستة الباقون من حولهما . ابتعدت عنه وهددته بإصبعها :

– كلا ، لن تشرح لي هذا فيما بعد . لقد استغرق هذا الامر شهراً من قبل . لماذا لم تخبرني انك تعرف مكان "توني" عندما كنا في الكوخ ؟ عندما كنا ...

قالت :

– لا تنظر إليّ هكذا .

فتح "ريلي" يديه ثم وجه نظرته نحو المجموعة ثم إلى "اليزون" .

سالها ببراءة :

– وكيف انظر إليك ؟

– ولن ينتهي هذا هكذا ، لست مستعدة لان أسامحك ليس الآن .

قال وهو يتبعها إلى الشرفة :

– اما انا فسامحتك .

سارت باقي المجموعة عدا "جاك" في اثر "ريلي" مثل عربة عملاقة .

استدارت "اليزون" وتماسكت وهي تضع يديها على ردفيها . ليس هذا هو اللقاء العاطفي الذي كانت تتمناه ، لقد قابل "ريلي" احتجاجها باستخفاف . احست بالدموع تملأ عينيها .

– لقد خيبت املي يا "ريلي" .

تمتم وهو يتفحصها من شعر راسها حتى اخمصي قدميها :

– هذه بداية عظيمة .

اراحته رؤيتها كثيراً وقد تخلت عن حب الذات .

لقد عادت امراة حياته . وقد اراد ان يعلم الناس جميعاً بعودتها . او على الاقل كل المقيمين بالفندق . إنه لا يضايقها إلا لإبراز فرحته . لكنه عندما راى عينيها الزرقاوين مغرورقتين بالدموع ، أدرك انه تمادى .

قالت وهي تضربه على صدره :

– حسنا ، تصرف كما يحلو لك يا "ريلي" . لكنك لن ترحل قبل ان تسمع ما عندي . بينما كنت تتظاهر بانك متفهم لموقف اختي" احببتك! هكذا .

– قبل ان تستشيطي غضباً ، لدي شيء اقوله لك : عندما كنت اشاركك حلمك عن "طرزان" ، احببتك فقط ، لم يكن حلماً يا "الي".

بدأ الجميع يصفقون .

– إذا كنت تحبني لهذه الدرجة فلماذا لم تخبرني بالحقيقة ؟ ماذا كنت تظن اني سافعل ؟

اقتربت وضربته على صدره :

– اني ساحكي لكل الناس عن اسرارك ؟

مسحت دمعة خانتها بسرعة من على وجهها ثم اجتهدت كي تمنع ذقنها من الارتعاش .

قال بهدوء وهو يمسك بيدها :

– هيا بنا .

وافقت واجتازت بعض الخطوات المؤدية إلى حجرتها .

كان الجميع وراءهم .

قال للجميع وهو يقودها للداخل ويغلق الباب وراءه :

– وقت الراحة .

عدا ضوضاء الأصوات التي كانت تتضاءل ، لم يكن هناك سوى هيئة "اليزون" الحذرة ، ولأول مرة منذ عودتها تشعر بالقلق يعتصر معدتها . حقيقة انها قالت له : إنها تحبه لكنها لم تقلها بحنان حتى الآن . من يستطيع أن يلومها على هذا وهي لا تعرف هل ستثق به ام لا؟

– كن طيباً يا "ريلي" .

لقد صاغت طلبها بطريقة بسيطة حتى إنه احس بركبتيه تخوران تحته . كان يعرف انها عنت ضمنياً في رسالتها هذه انه قد برهن على فخره بما يكفي . ارتمى على السرير واسند مرفقيه على ركبتيه .

- عندما جئت واخبرتني انك تبحثين عن "توني" ، كان لايزال امامنا شهر لإنهاء المشروع . إذا كان "توني" قد علم بامر الطفل قبل إنهاء عمله في البحث ، فلم اكن لاعرف هل كان سيفضل الرحيل لمقابلة زوجته ام سيبقى ؟

بجانب مشاكل حياته الخاصة هناك تعاقده المهني الذي لابد ان يحترم . المشكلة كانت : ماذا يمكن تحدثه بضعة اسابيع من الانفصال امام إمكان استفادة العالم اجمع من ثمار هذا البحث ؟

نظر إليها بطرف عينه فرآها تومىء استحساناً .

- إني افهمك . ربما لو كنت مكانك كنت سافعل نفس الشيء . لكن لم لم تخبرني بكل هذا ؟

- بسبب إصرارك ، كنت اعرف انك تريدين مقابلة "توني" باي ثمن . وكنت اخشى ان تسالي كل الناس في "سان ريمو" إذا كان هناك من راى عالم نبات منفصلا .

دقق في ملامحها :

- نوع العالم الذي تستطيع شركة ادوية كبيرة تكليفه بهذا العمل هو نفس النوع الذي اغتيل العام الماضي على يد شركة الـ"ديابلو" لاستغلال الغابات .

قالت :

- لقد حكى لي "توني" عن هذا .

كسا الألم ملامح "اليزون" .

- بعد ذلك ، عندما ... تقاربنا اردت ان اخبرك . لكنه في كل مرة اجتهد لاستجمع شجاعتي ، اجدك تنظرين إليَّ بهاتين العينين

الواسعتين الصافيتين . وتقولين لي : إني كامل وطيب القلب ، هل تفهمينني ؟ لقد جعلتني اشك في نفسي بكلماتك هذه .

احس بان هناك ياسا في صوته لكنه لم يحاول ان يخفيه . ما الفائدة ؟ لقد كان يائساً .

- "الي" ، إن بيننا شيئا فريدا ، هو شيء لم اتمن مقابلته في سن الرابعة والثلاثين . إنه شيء حاد ونقي .

تامل شورتها الأزرق وقميصها الابيض وادرك كم هي جذابة ! القى براسه بين ذراعيه وتنهد .

قال باصرار :

- لا اريد لهذا الشيء الذي بيننا ان ينتهي . ولهذا اخرت اللحظة التي اقول لك فيها كل شيء . كنت آمل انه بعد ان نتعرف اكثر ، يمكنك ان تفهمي كل ما ساقوله لك بسهولة .

- لكنك تركتني اصعد الطائرة ولم تقل شيئاً ولم تحاول منعي لتشرح لي كل هذا . لقد تركتني ارحل حتى "كنكتكت" واقضي اسبوعين منهارة دون ان اعرف شيئاً . لقد كنت اعاني ، كنت ضائعة تماماً بدونك .

رفع راسه وتاملها وهو غير مصدق :

- وانا ؟ ما المفروض ان افكر فيه ؟ آخر شيء قلته لي قبل ان ترحلي: إن اللحظات التي قضيناها معا لم تكن سوى حلم طفولة .

مد يده إلى درج وفتحه ثم اضاف وهو يخرج الضفيرة :

- كما قلت لك من قبل ، بالنسبة لي لم يكن حلماً ، لقد رجعت إلى هناك وتوسلت إلى الرئيس كي يردها إليَّ . لقد مر اسبوع وانا انام كل ليلة وشعرك بجواري على الوسادة .

ثم تمتم وهو يغلق عينيه ويشم رائحتها . وقد اصبح صوته خشنا من العاطفة :

- إنه مازال يحمل رائحة عطرك .

- تبأ ، كان عليّ ان اجبر "تيت دوبيوش" على رده لي في المساء

همست بصوت أطالته الضحكة التي كانت تحاول كتمانها :

اقتربت منه واشعثت له شعره :

- احقاً ؟

- حقاً .

جذبها واجلسها على ركبتيه ثم وضع خده على صدرها :

قال وهو مسحور بالمراة التي يحتضنها :

- احبك يا "الي" واعدك من الآن الا اخفي شيئا ابداً .

رفعت رأسها الذي اقترب من راسه .

قالت وهي تطبع قبلة رقيقة على شفتيه :

- أصدقك يا حبيبي .

لف ذراعيه حول وسطها ثم داعبها بحنان وهو يقبلها قبلة طويلة .

- اعتقد انه ينبغي عليك ان تبقى هنا وتصلح الفندق بمساعدة وال "شيكو" .

- انا ايضا اعتقد هذا لكن "تيلور" يريد شخصاً آخر للفندق ، "جاك ستريتفورد" بالتحديد .

مست شفتيه ثم نظرت في عينيه وقد حثها تحفظه على السؤال:

- إلى أين يريدونك ان تذهب ؟

- إلى "البرازيل" .

قالت وهي تستبعد المسافة :

- إلى "البرازيل" .

نهضت ببطء .

حبس انفاسه .

- "الي" ؟

عاودت الجلوس على ركبتيه .

قال وهو يفك ازرار قميصها :

- هل تعرفين ماذا جرى للسيدة ذات التايير الأبيض ؟

قالت وهي تضع يديها على جذعه :

- قل لي انت .

قال وهو قتيل الرغبة :

- لقد تركت وظيفتها لتعيش مع "طرزان" في الادغال .

ثم أكمل وهو يلقي بالقميص على الجانب الآخر :

- ومن وقتها لم يسمع احد عنها شيئاً .

تمتمت "اليزون" وهي تتقوس من تأثير مداعبته :

- بلا مزاح ، وماذا فعل "طرزان" ؟

- لقد وعدها بالجنة لنهاية العمر إذا قبلت أن تصبح مدام "اندرسون" . هل اخبرتك أن المبجل "فيليب" يمكنه أن يقوم بمراسم الزواج ؟

أومأت .

- "الي" .

كان صوته تمتمة حانية مثل الموسيقى الحالمة .

- ليس هذا حلماً ، إني صادق تماماً ، هل ترغبين في الزواج بي ؟

وضع إصبعه على شفتيها :

- كلا ، انتظري . هل ترغبين في الزواج بي هذا المساء ؟

نهضت مرة أخرى .

- نعم ، نعم . نعم . اوه يا "ريلي" أمامنا ألف شيء نفعله معا .

نهض بتأن .

- هل تعتقدين هذا ؟ لابد ان اتصل بالشركة وأخبرهم اننا راحلان .

ثم إنك لم تقابلي عائلتي بعد .

- لقد وعدت "سوزان" أن أبقى على اتصال ثم ....

توقفت عن الكلام ومطت شفتيها .

خلع قميصه :

- لا تشغلي بالك . سندبر هذا فيما بعد .

- فيما بعد وأكثر .

- "ريلي" ؟ لم تسألني عما وعدت به السيدة ذات التايير الأبيض "طرزان" .

- بم وعدته ؟

قالت وهي تصعد بجواره على السرير :

- ألا تخاف من شيء .

ثم أكملت وهي تمرر يدها في شعره :

- أن تعيش اللحظة الحاضرة ، وأن تكون تلقائية ، تلقائية دائماً .

ثم ضحكت وهي تلصق فمها بخده :

- ماذا يضحكك ؟

- إني لم أمارس الحب مطلقاً مع رجل شعره أطول من شعري. رد وهو يشدها إليه بقوة واشتياق :

- أنا متأكد أنك ستخرجين من هذه التجربة بإحساس رائع . بعدما تفعلين مثلما فعلت "جين" مع "طرزان" .

ثم سكن كل شيء حولهما ولم يعد هناك سوى هذين القلبين المشتعلين بالحب وهذين الجسدين المحترقين من الرغبة .

تمت